

قُلُوبُ الْبَيْتِ

مَنْزِلَتُهُمْ وَمَبَادِئُهُمْ

محمد هوار مغنية
الحكمة الجعفرية العليا

obeykandi.com

المقدمة

بسم الله وله الحمد ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

أهل البيت

« هم عيش العلم وموت الخلق » ، يخبركم حلهم
« عن علمهم » ، وصمتهم عن حاكم منطقهم ،
« لا يخالفون الحق » ، ولا يخالفون فيه ، هم
« دعائم الاسلام » ، وولائج الاعتصام ، بهم
« عاد الحق في نصابه » ، وانزاح الباطل عن
« مقامه » ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا
« الدين عقل وعاية ورعاية » ، لا عقل سماع
« ورواية » ، فان رواة العلم كثير ورعائه قليل

نهج البلاغة

رغب الي الاستاذ الكبير فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة
البنانية أن أكتب فصلاً عن أهل البيت للجزء الاول من دائرة
معارفه الذي حوى من ثمرات العقول أقصى ما وصلت اليه
المواهب والكفاءات .

يعلم الاستاذ فؤاد أن عشرات الملايين من المسلمين تهوي

أفقدتهم لأهل هذا البيت الكريم ، وأن لهم أثراً كبيراً في الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب والمسلمين ، وتمشياً مع مبدئه من اختيار الموضوعات الهامة لدائرته ، وتكليف كل ذي اختصاص بما يدخل في نطاق اختصاصه أسند الي كتابة هذا البحث ، وقد شعرت بالغبطة لهذا التكليف ، لأن اثره يمتد ويتسع مع ذاك السفر الخالد .

ومنذ القديم الى يومنا هذا ، والمؤرخون وأهل السير يكتبون في مناقب أهل البيت ، وستظل الاقلام تسطر عظمتهم ما كان للعظمة من ذكر ، فلقد استوفقت تعاليمهم الباحثين من أمم مختلفة ، لأنهم وجدوا فيها عظمة الله ، وهيبة الحق ، وقوة العلم ، وكرامة الانسان ، واحترام الحياة ، وجلال الكون ، فاستلهموها واتخذوا منها مقياساً للحق والفضيلة ، ومصدراً للعلم والتشريع .

كُتبت هذه الاوراق المتواضعة في منزلة أهل البيت عند جدتهم الرسول (ص) ، وعند المسلمين ، واخلاقهم ، واحتجاجاتهم ، ونظرتهم الى المال ، وما الى ذلك ، وأشارت الى الفرق الموالية لهم ، وبخاصة الامامية ، ثم لخصتها في فصل طويل نشر في الدائرة ، واذا رأى القاريء الكريم أن ما في كتب المناقب أكثر بكثير مما ذكرت فان ذلك يعود الى أمرين :

الأول : ان الغاية التي ابتغيها من هذه الأوراق لا تتناول الا ما يتصل بمنزلة أهل البيت ومبادئهم ، على أنني لا أدعي أنني أتيت بكل ما قيل ، بل ما يمكن أن يقال في هذا الباب ، وحسبي أنني لم اذكر الا ما يستسيغه العقل ، ويطمئن اليه الضمير ، ولا يرتاب به انسان مؤيداً كان أو معانداً .

الثاني : ان موضوع أهل البيت تتفرع عنه بحوث شتى تتصل بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولا يتسنى لانسان كائناً من كان أن يخوض هذا الميدان لوحده ، وإن حاول فعليه أن يعمل دهرأ طويلاً ، ولا يشرك مع جهده في هذه السبيل أي عمل آخر ، وهيئات أن يبلغ ! والله در القائل :

آل الرسول ونعم أكفا ء العلى آل الرسول
خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الاصول

وثنائي أقصر قاصر وأقل شيء من قليل
والعجز ذنبي لا عدو لي عن اخ البر الوصول
وانا المقصر كيف كنت فهل لعذر من قبول
والحمد لله المتفضل بالعفو عمن اعترف واعتذر .

محمد جواد مغنیه

من فهم آل البيت

آل الرجل أهله ، ولا يستعمل الا فيما فيه شرف ، فلا يقال
آل الحائك ، بل يقال أهله ^(١) .

ويقال آل الرجل لمن كان على دينه ، ومنه قوله تعالى
« واغرقنا آل فرعون .. كذاب آل فرعون .. اخذنا آل فرعون » .
وتستعمل كلمة آل في السراب ، ومنه قول بعض الشعراء يهجو
بخيلا :

إني لأعلم أن خبزك دونه

نكد البخيل ودونه الاقفال

واذا اتجعت الحاجة لم تقضها

واذا وعدت فان وعدك آل

اي سراب ، وقال صاحب مجمع البيان في تفسير الآية ٢٤٨
من سورة البقرة « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » : قيل :

(١) كتاب اقرب الموارد .

أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون علي نبينا وعليهم
السلام ، يعني مما ترك موسى وهارون ، تقول العرب آل فلان
يريدون نفسه ، وقال جميل :

بشينة من آل النساء وانما يكن لأدنى لا وصال لغائب
اي بشينة من النساء .

وتستعمل أهل فيما استعمل فيه آل ، ولكن أهل أكثر شيوعاً
واستعمالاً ، تقول الناس : أهل الشام وأهل العراق ، ولا يقولون :
آل الشام وآل العراق ، سوى أن آل لا تستعمل في أهل الرجل
الا اذا كان له مكانة كما قدمنا .

وقد جاء لفظ أهل البيت في آيتين من القرآن الكريم :
الاولى الآية ٧٣ من سورة هود « رحمة الله وبركاته عليكم أهل
البيت » والثانية الآية ٣٣ من سورة الاحزاب « إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » واتفق
المفسرون أن المراد بالآية الاولى أهل بيت ابراهيم الخليل (ع)
وبالآية الثانية أهل بيت محمد بن عبد الله ﷺ ، وتبعاً للقرآن
استعمل المسلمون لفظ أهل البيت وآل البيت في أهل محمد
فقط ، واشتهر هذا الاستعمال حتى صار اللفظ علماً لهم ، بحيث
لا يفهم غيرهم الا بالقرينة ، كما اشتهر لفظ المدينة بيثرب مدينة

الرسول (ص) والشيخ الرئيس باین سینا ، والمعلم الثاني بالفارابي .
اختلف المسلمون في عدد ازواج النبي ، فمن قائل بأنه تزوج
بثمانی عشرة امرأة ، ومنهم قال بأنهن إحدى عشرة ، وعلى أي
الأحوال فقد أقام مع النساء سبعا وثلاثين سنة ، ولد له خلالها
ثلاثة ذكور القاسم والطاهر وإبراهيم ، وأربع بنات أم كلثوم
ورقية وزینب وفاطمة ، وأم إبراهيم مارية القبطية ، والبقية أمهم
خديجة بنت خويلد ، وتزوج زینب أبو العاص بن ربيعة ، وهو
من بني أمية ، وتزوج أم كلثوم عثمان بن عفان ، ولما ماتت عنده
زوجه رسول الله (ص) مكانها رقية ، وتزوج فاطمة الإمام علي (ع)
ومات أولاده كلهم في حياته ما عدا فاطمة (ع) .

قال صاحب مجمع البیان في تفسیر آية إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت : قد اتفقت الأمة بأجمعها على أن
المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ، ثم اختلفوا ، فقال
عكرمة : أراد ازواج الرسول ، لأن أول الآية متوجهة إليهن ،
وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك ووائل بن الأسقع وعائشة
وأم سلمة : إن الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن

(١) المجلد السادس من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي .

والحسين (ع). ثم قال صاحب المجمع : إن ثبوت عصمة المعنيتين بالآية يدل أن الآية مختصة بهؤلاء الخمسة ، لأن من عداهم غير مقطوع بعصمته . وإذا قال قائل : إن قبل الآية وما بعدها جاء في حق أزواج النبي ﷺ فنقول : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ، ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء ، وكذلك كلام العرب واشعارهم .

وعلى أي الأحوال فانه لا أهمية لقول من قال بأن أزواج النبي ﷺ من اهل البيت ، إذ لا توجد فرقة من المسلمين تدين بالولاء لاحدى أزواج الرسول ، وتوجب الاقتداء بها ، وقال العباسيه ، وهم الذين ذهبوا الى ان العباس عم النبي هو الخليفة لابن اخيه محمد ، قالوا : إن العباس وبنيه من أهل البيت ايضاً ، وهذه الفرقة انقرضت بانهاء دولة العباسيين ، لأنها لم تبني على أساس من الدين ، فالعباس نفسه عرض بعد وفاة الرسول على ابن اخيه علي أن يبايعه بالخلافة ، وكان ولده الاكبر عبد الله من اتباع الحسن والحسين .

لقد نشطت الدعوة الى أبناء علي في آخر العصر الاموي ، وأتاح هذا النشاط لبني العباس أن يجهزوا على عرش الأمويين ،

ولكنهم استأثروا بالسلطان وحدهم دون العلويين ، فأعلن الشيعة أن العباسيين كأسلافهم ظالمون ، فاضطهدهم العباسيون ونكلوا بهم وبأئمتهم ، وحاولوا بشتى الأساليب ان يشنوا المسلمين عن تقديس علي وبنوه ، فأوعزوا الى المرتزقة من رجال الدين والشعراء بأن يشنوا الدعوة الى أن العباسيين من أهل البيت ، وأنهم حكام شرعيون يحق لهم أن يخلفوا النبي ﷺ في تدبير شؤون المسلمين ، ولم يخف الهدف من هذه الدعوة على جمهور المسلمين فضلاً عن خواصهم ، ولمـذا اختفى اثر الفرقة العباسية منذ انتهى أمر العباسيين .

ومهما اختلف المسلمون فان كلمتهم واحدة على ان شجرة النسب النبوي تنحصر فروعها في ابناء فاطمة ، لأن النبي ﷺ لم يعقب الا من ولدها ، أما بنو العباس وبنو عقيل وجعفر وبنو علي من غير فاطمة فانهم من آل هاشم جدهم وجد النبي ﷺ ، وليسوا من آل الرسول ، لأن نسبهم لا ينتهي اليه .

الحجاج ويحيى بن عمر

قال الشعبي : كنت بواسط ، وكان يوم أضحى ، فحضرت صلاة العيد مع الحجاج ، فخطب خطبة بليغة ، ولما انصرفت

جاءني رسوله ، وعندما دخلت عليه قال : يا شعبي ، هذا يوم
أضحى ، وقد أردت أن اضحى فيه برجل من أهل العراق ،
وأحببت أن تسمع قوله ، لتعلم أنني اصبت الرأي فيما أفعل .
فقلت أيها الأمير كان رسول الله ﷺ يضحى بكبش ، فاستن
انت بسنته .

قال : اذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه ، لكذبه على الله
ورسوله ، وإدخاله الشبهة في الاسلام .
ثم أمر الحجاج بالنطع والسياف فاحضرا ، فقال احضروا
الشيخ ، فاتوا به ، واذا هو يحي بن يعمر ، فاغتممت غماً شديداً ،
وقلت في نفسي ماذا فعل هذا حتى يقتل !
فقال له الحجاج : أنت فقيه أهل العراق .
فقال يحي : أنا من فقهاءهم .
قال الحجاج : كيف زعمت أن الحسن والحسين من ذرية
رسول الله ﷺ !

قال يحي : ما انا بزاعم ذلك ، بل قائله بحق .
قال الحجاج : وأي حق !
قال يحي : كتاب الله نطق بذلك .
قال الحجاج : لعلك تريد قول الله عز وجل « فمن حاجك

من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين » وأن رسول الله خرج للمباهلة ، ومعه علي وفاطمة
والحسن والحسين .

فقال يحيى : والله إنها لحجة بليغة ، ولكني مع ذلك لا أحتج
بها .

قال الحجاج : إن جئت بغيرها من كتاب الله فلك عشرة
آلاف درهم ، والا قتلتك ، وكنت في حل من دمك .

قال يحيى : نعم ، وتلا الآية ٨٣ من سورة الانعام « ومن
ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك
نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى ... والياس كل من الصالحين » .

فقال له الحجاج ، وكان حافظاً للقرآن : وأين تركت عيسى !

قال يحيى : ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم ، ولا
أب له !

قال الحجاج : من قبل أمه مريم .

قال يحيى : أ يكون عيسى من ذرية إبراهيم بواسطة أمه
مريم ، وبينها وبينه ما تعلم من الاجداد ، ولا يكون الحسن

والحسين من ذرية الرسول بواسطة امهما فاطمة ، وهي ابنته بلا واسطة !

وكانما ألقم الحجاج حجراً ، وقال : اطلقوه واعطوه عشرة آلاف درهم لا بارك الله له فيها .

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : « الآية تدل على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ ، لأنه سبحانه وتعالى جعل عيسى من ذرية ابراهيم مع أنه لا ينتسب الى ابراهيم الا بالأم ، فكذاك الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ » .

سيرة النبي مع أهل بيته

إذا أردنا أن نعرف منزلة أهل البيت عند المسلمين والباعث على تكوين بعض الفرق الإسلامية وإيمانها بأهل البيت ، فعلى أن نلاحظ منزلة محمد ﷺ عند المسلمين ، وسيرته مع أهل بيته وأن نلاحظ مع ذلك أخلاق أهل البيت أنفسهم وما أصابهم من المحن في سبيل تمسكهم بالحق والعدل والأخلاق .

إن حقيقة الإسلام هي الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فمن أقر الله بالوحدانية ، وجحد رسالة محمد ، أو نسب صفات الخالق إلى غير الله ، أو صفات النبوة إلى غير محمد ممن كان في عصره أو بعد عصره ، أو جحد آية من القرآن أو سنة ثابتة بالضرورة من سنن النبي فلا يصح عده من المسلمين ، لأنه لا يحمل الطابع الرئيسي للإسلام . فالمسلم اذن من آمن بالله وبمحمد وقرن طاعته بطاعته ، وبهذا نطقت الآية ٦ من سورة الاحزاب « اطيعوا الله واطيعوا الرسول »

والآية ٦٢ من سورة التوبة « والله ورسوله أحق ان ترضوه »
والآية ٦٢ من سورة النساء « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم » والآية ٣ من سورة النجم « ما ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى » وما الى ذلك من عشرات الآيات .

كان النبي ﷺ كما وصفه القرآن في الآية ١٥٩ من
سورة آل عمران « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك » والآية ١٣٩ من سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم » والآية ١٠٧ من سورة الانبياء « وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين » فاذا عرفنا أن نفس النبي وسعت الرحمة والعطف
على القريب والبعيد، والقوي والضعيف عرفنا وكيف كان يعطف
على أهل بيته واعز الناس عليه ، وكيف كان يعطف على فاطمة
البقية الباقية من أبنائه وبناته الذين فجع بهم في حياته ولم يتعوض
من فقدهم ما يعزیه سواها وسوى من في بيتها ، وقد نقل اصحاب
السير والمناقب من السنة والشيعة صوراً كثيرة لهذا العطف
والحب ، نكتفي بالاشارة الى بعضها :

— كان النبي اذا سافر ، فأخر بيت يخرج منه بيت فاطمة ،
واذا رجع من سفره فأول بيت يدخله بيتها ، يجلس ويضع

الحسن على فخذه الأيمن ، والحسين على فخذه الأيسر يقبل هذا مرة وذاك أخرى ، ويجلس علياً وفاطمة بين يديه ، وجاء في الحديث أنه دخل مرة بيت فاطمة ودعاها ودعا علياً والحسن والحسين ، ولف عليه وعليهم كساء وتلا الآية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً » . والمسلمون يسمون هذا الحديث بحديث الكساء ويطلقون لفظ « أصحاب الكساء » على محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وقال لهم مرة : أنا سلم لمن سالمكم ، وحرب لمن حاربكم . وما الى ذلك من الاحاديث المشهورة عند جميع الفرق الاسلامية ، وقد أوصى النبي ﷺ أمته بأهل بيته ، وواساهم بالقرآن ، ففي الحديث « اني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله : فيه الهدى والنور ... ثم قال : واهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي » وفي الآية ٢٣ من سورة الشورى « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » والمراد بالقربى قرابة النبي .

وركب الحسن على ظهر جده ، وهو ساجد في الصلاة ، فرفعه النبي ﷺ رفعا خفيفاً ، ولما فرغ من الصلاة وضعه في حجره فكان يدخل أصابعه في لحيته ، والنبي يضمه ويقبله ، ويقول : اللهم اني احبه .

وسار النبي مرة ، وهو يحمل الحسن فقابله رجل فقال : نعم
المركب ركبت يا غلام . فقال النبي : ونعم الراكب هو .
وخرج يوماً من بيت زوجته عائشة فمر ببيت فاطمة فسمع
حسيناً يبكي فمس بكاؤه شغاف قلبه ، فهرع الى فاطمة وقال لها :
ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني .

وفي ذات يوم بينا يخطب النبي ويعظ المسلمين في مسجده
جاء الحسن والحسين الى جدهما ، وعليهما قميصان احمران
يعثران ويقومان فلم يتمالك النبي نفسه ، وترك الوعظ ونزل
إليهما فأخذهما وعاد الى المنبر ، وهو يضمهما ويشمهما ثم وضعهما
في حجره ، وقال : صدق الله العظيم، إنما اموالكم واولادكم فتنة .

منزلة أهل البيت عند المسالمين

أوصى القرآن بمودة أهل البيت ، وأمر النبي باتباعهم حيث
ساواهم بكتاب الله ، لذا أولاهم المسلمون على اختلاف فرقهم
قسماً كبيراً من الرعاية والتبجيل ، وكان لهم عند أبي بكر من
التعظيم والاكبار ما لم يكن لأحد غيرهم ، وكان عمر بن الخطاب
يؤثرهم على جميع المسلمين ، فرض لأبناء البدرين من العطايا
ألفين ألفين في السنة إلا حسناً وحسيناً فرض لكل واحد منهما
خمسة آلاف .

وروي أن الحسين بن علي قال : أتيت عمر ، وهو يخطب
على المنبر فصعدت إليه ، وقلت له انزل عن منبر أبي ، واذهب
إلى منبر أبيك ، فقال عمر لم يكن لأبي منبر . وأخذني فأجلسني
معه ألقب حصي بيدي ، فلما نزل انطلق بي إلى منزله ، فقال لي :
من علمك ، قلت : والله ما علمني أحد ، قال : بأبي لو جعلت تغشانا .
فأتيته يوماً ، وهو خالٍ بمعاوية ، وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر
ورجعت معه ، فلقيني بعد هذا ، وقال لي : لم أرك ، فقلت : إني جئت

وأنت خالٍ بمعاوية فرجعت مع ابن عمر، قال: أنت أحق من
ابن عمر، فانما أنبت ما ترى في رؤسنا الله ثم أنتم .
وانتقل الحكم بعد الخلفاء الراشدين الى الأمويين أعداء آل
الرسول، ومنهم الى العباسيين الذين فاقوا الأمويين تقتيلاً وتنكيلاً
بأهل البيت وشيعتهم، حتى قال شاعرهم :
يأليت جور بني مروان دام لنا

وليت عدل بني العباس في النار
ولكن المسلمين لم يكونوا على دين ملوكهم في بغض العترة
الطاهرة، بل على دين نبهم في حب آلهم وتقديسهم، حتى الذين
قاتلوا الحسين في كربلاء خوفاً من يزيد وابن زياد كانت سيوفهم
على الحسين وقلوبهم معه، كما قال الفرزدق، بل حتى الولاة
الموظفون عند الخليفة كان منهم من يخطب على المنابر في الجمع
والأعياد باسم الخليفة تبعاً لمصلحته، وهو يؤمن في قرارة نفسه
بحق أبناء فاطمة، ويتشيع للأئمة الأطهار، والأمثلة على ذلك
أكثر من أن تحصى .

منها ان الطاهريين كانوا يتولون أمر خراسان من قبل المأمون
وقلوبهم مع آل البيت . فقد انهزم اختياراً سليمان بن عبد الله
ابن طاهر حين حارب الحسن بن زيد في طبرستان .

ومنها ان رجلاً من أهل الرى كان يتشيع ، وكان عليه
أموال كثيرة للخزينة ، وقد طالبه بها الوالي من قبل الخليفة
العباسي ، وألح بالطلب ، وأراد مصادرة أملاكه ، فقال له أحد
أصحابه : إن الوالي يكتم التشيع مثلك ، فاذا ذهبت اليه ، وأخبرته
بعقيدتك أرفق بك ، قال الرجل المطلوب : خفت أن أمضي
اليه فلا يكون كذلك ، فذهبت الى الامام موسى بن جعفر (ع)
فشكوت اليه ، فأصحبني بكتاب ، ولم يزد حرفاً على هذه الكلمات :
بسم الله الرحمن الرحيم . إعلم أن الله عرشاً لا يسكن
تحت ظله إلا من أسدى الى أخيه معروفاً او نفس عنه كربه أو
أدخل على قلبه سروراً ، وهذا اخوك والسلام .

قال مضيت الى الوالي ليلاً ، واستأذنت عليه وقلت : رسول
الامام موسى الكاظم فضمني اليه وقبلني ، وأجلسني في صدر
المجلس ، وجلس هو بين يدي ، فناولته الكتاب فقبله وقرأه قائماً ،
ثم استدعى بماله وثيابه ، وقاسمني ديناراً ديناراً ، ودرهماً درهماً ،
وثوباً ثوباً ، وقال لي : يا اخي هل سررتك ، فقلت : أي والله وزدت
علي السرور ، ثم أسقط عني المال وأعطانني براءة بذلك ، فودعته
وانصرفت الى الامام فحدثته بما جرى فتهلل وجهه فرحاً ، وقال :
لقد سر الله في عرشه وسر محمداً في قبره .

ومنها ان المتوكل كلف ابن السكيت بتأديب ولده المعتز بالله ، وكان هذا الشيخ من عظماء الشيعة ولكنه كان يكتم التشيع حسبما يظهر من اختيار المتوكل له ، لأن المتوكل معروف باغراقه في العداوة لعلي وبنيه ، وفي ذات يوم قال له المتوكل : أيهما أحب اليك ، ابني هذان ، اي المعتز والمؤيد ام الحسن والحسين ، فلم يملك الشيخ نفسه ، وقال له : والله إن قنبراً خادماً علي بن ابي طالب خير منك ومن ابنيك ، فأمر المتوكل أن يخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا ومات . ومن الغريب أن هذا الشيخ قد حذر من عثرات اللسان حيث قال :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه

وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه

وعثرته في الرجل تبرا على مهل

وسبيل المداراة مع المصلحة يسلكها العارفون ، فينتفعون وينفعون دنيا وآخرة ، إذا لم يخرجوا من الحق ، ولم يدخلوا في الباطل . كان لفرعون ابن عم آمن بموسى في الباطن ، وبقي مع فرعون في الظاهر ، يقضي مصالح الضعفاء ، ويدافع عن الطيبين ، وقد مدحه الله في كتابه العزيز ، وسماه بالمومن في الآية ٢٨

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » ثم سميت السورة بكاملها بهذا الأسم من أجله .
إن حب آل البيت لم يختص بطبقة دون طبقة ، أو فرقة دون فرقة ، فقد اتحدت قلوب المسلمين جميعاً على حبهم ، وبخاصة رجال الدين ، ومن تتبع سيرة أئمة المذاهب الأربعة لمس إخلاصهم لعلي وابناء علي ، كان ابو حنيفة يحب أهل البيت ، ويبدل لهم الأموال الطائلة ، وأفتى بنصرة زيد بن علي ، وحمل الأموال إليه ، كما أفتى بالخروج مع ابراهيم بن عبد الله الحسين لحرب المنصور ، وضرب ابو حنيفة بالسياط وحبس وعذب ، وأخيراً سقاه المنصور السم فمات ، كل ذلك في سبيل حبه لأبناء الإمام علي ، وبغض أعدائهم . وقال بعض المؤرخين : إن ابا حنيفة ضرب وعذب ، لأن الخلفاء طلبوه ليتولى منصب القضاء فامتنع . وهذا القول لا يقبله عاقل ، لأن طلبهم إياه للقضاء يدل على التعظيم ، وضربه بالسياط وحبسه يدل على التحقير فكيف يمكن الجمع بينهما ، ومن القريب الجائز أن يكونوا قد عرضوا عليه القضاء ليسكت وينصرف عن آل البيت ، فلما أبى نكلوا به ، إذن التثكيل كان لغاية سياسية وهي حبه لأهل البيت الذين يمثلون الحزب المعارض ، لا من أجل امتناعه عن القضاء

وحدث الامام مالك على خلع المنصور ، والخروج عليه ،
وأفتى من بايعوه بفساد البيعة ، لأنهم بايعوا مكرهين ، ولا بيعة
لمكره ، وضربه المنصور بالسياط كما ضرب ابا حنيفة ، وسيأتي
أنه كان هو وابو حنيفة من تلامذة الامام جعفر الصادق (ع) .

أما الشافعي فحبه لأهل البيت أشهر من أن يذكر ، وقد
أغرق في هذا الحب حتى قيل إنه رافضي ، ومن شعره :

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم
من لا يصلي عليكم لا صلاة له

...

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً اذا فاض الحجيج الى منى
فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد

فليشهد الثقلان اني رافضي

...

إذا في مجلس ذكروا عليا
وشليه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا
فهذا من حديث الرافضية
هربت الى الميمن من أناس
يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي
ولعنته لتلك الجاهلية

...

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم
مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حب الله وهو ولاؤهم
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

...

قالوا: ترفضت؟ قلت: كلا
ما الرفض ديني ولا اعتقادي

ولكن توليت غير شك
خير امام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضاً
فاني أرفض العباد

وسئل الشافعي عن الامام علي (ع) ، فقال : ما أقول في
رجل أسراً أولياؤه مناقبه خوفاً ، وكتما أعداؤه حقاً ، ومع ذلك
شاع منها ما ملأ الخافقين .

أما الامام ابن حنبل فكتابه مسند احمد مشحون بفضائل
علي ، ويقال إنه ألف كتاباً كبيراً في فضائل أهل البيت ، وإن
نسخة منه كانت في خزانة مشهد الامام بالنجف ، ونقل أيضاً أنه
تلمذ على الامام موسى الكاظم

وما عرف التاريخ أهل بيت أحبهم الناس من قوسيات ،
ومذاهب عديدة كآل البيت ، أحبهم أحياء وأمواتاً ، فألف
العلماء الكتب في منزلتهم وعظمتهم ، ونظم الشعراء الدواوين
والقصائد في مديحهم ، وردد الخطباء فضائلهم في المحافل وعلى
المنابر ، وتقد الجماهير الى مقاماتهم ومقابرهم في كل سنة
بالآلوف ، وما من مسلم في شرق الارض وغربها يصلي لله إلا
يذكر محمداً وآله بالصلاة والتسليم ، وهذه الأسماء الشائعة الذائعة:

محمد وعلي وفاطمة وحسن وحسين لم يكن الباعث على التسمية بها إلا التبرك والتمنن باسماء آل البيت ، أحبهم الناس من كل أصل وجنس ، ومن كل الطبقات الأقوياء والضعفاء في كل زمان ومكان ، بل وجد من الامويين من يحب آل البيت ، منهم عمر ابن عبد العزيز . كان بنو أمية يوجبون سب علي على المنابر ، فلما ولي الخلافة أمر بترك السب ، وان يذكر مكانه « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، وغضب الامويون لذلك ، وقالوا لو علم الناس فضل علي لتفرقوا عنا ، ومدحه كثير عزة بأبيات منها :

تكلمت بالحق المبين وإنما

تبين آيات الهدى بالتكلم

وصدقت معروف الذي قلت بالذي

فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ومنهم ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني كان أموياً محباً لآل الرسول ، ومنهم الشاعر عبد الله أبو عدي المعروف بالعيلي ترجمه صاحب الأغاني في الجزء العاشر ، وقال في ترجمته : كان ابو عدي الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب علي ، ويظهر الانكار ، فشرده الاميون فقال :

شردوا بي عند امتداحي عليا
ورأوا ذاك في داء دويا
فوربي ما أبرح الدهر حتى
تختلي مهجتي بحبي عليا
ونبيه لحب احمد اني كنت
أحبيتهم بحبي النيا
حب دين لا حب دنيا وشر ال
حب حب يكون دنياويا
صاغني الله في الذؤابة منهم
لا زنيماً ولا سنيداً دعيا

ومنهم معاوية بن يزيد بن معاوية ، نقل عن الدميري في حياة
الحيوان أنه لما بويع بن يزيد بعد أبيه بالخلافة صعد المنبر ، وقال
من خطبة طويلة :

إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه
ومن غيره ، لقرابته من رسول الله وعظم فضله وسابقته ، أعظم
المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ،
وأشرفهم منزلة ، وأقدمهم صحبة ، ابن عم الرسول وأخوه وصهره
وزوج ابنته ، وأبو سبطيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة

وأفضل الأمة من الشجرة الطيبة الزكية ، فركب جدي معاوية معه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ... ثم انتقلت الخلافة إلى ابي يزيد فتقلد أمركم لهوى أبيه ، وكان غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ فركب هواه ، وتجراً على الله بما استحل من حرمة اولاد رسول الله ، فقلت مدته ، وأنقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرة رهين خطيئته . ثم قال : فشأنكم أمركم فخذوه ، ومن رضيتم به فولوه ، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام .

ولما نزل عن المنبر وبخه أقاربه ، وقالت له أمه : ليتك كنت حيضة ، ولم أسمع بخبرك ، فقال : وددت والله ذلك . وقال الأمويون لمعلمه ومؤدبه عمر المقصوص : أنت علمته حب علي وأولاده ، وأخذوه فدفنوه حياً ، ثم دسوا السم لمعاوية فمات .

وفي حكم معاوية بن ابي سفيان وولده يزيد ، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق كان سبيل من يتهم بحب آل البيت القتل أو الضرب أو السجن أو التشريد ، ولكن هذا الضغط قد زاد الناس إيماناً وتمسكاً بحبهم وولائهم ، وقتل معاوية خلقاً كثيراً ممن أبى أن يلعن علياً ، ويتبرأ منه ، أو عارض

مبدأ اللعن والبراءة ، وكان الامام عالماً بما سيلحق شيعة بعد وفاته ، فقال لهم : ستدعون الى سبي فسبوني ، ثم تدعون الى البراءة مني فاني لعلى دين محمد ﷺ . ومع ذلك فضل جماعته القتل على السب والبراءة ، بل فضلوا القتل على سماع المس من مقام الامام ، منهم عمرو بن الحمق الصحابي الجليل ، قتله معاوية ، وبعث برأسه الى امرأته ، فوضعت الرأس في حجرها ، وقالت لرسول معاوية : سترتموه غني طويلاً ، وأهديتموه لي قتيلاً ، فأهلاً وسهلاً من هدية غير قالية ولا بمقلية .

ومنهم حجر بن عدي وأصحابه ، وكان حجر من أصحاب الرسول ، وفد عليه هو وأخوه هاني مع وفد من قومهما ، قتل معاوية حجراً ، لانه عارض معارضة شريفة ، وطالب أن يترك للناس حرياتهم ، ولا يكرههم على شتم الاولياء الصالحين ، وكانت هذه المعارضة تعبر عن رأي الشعب على اختلاف طبقاته وميوله ، لذا كان لقتله صدى بعيد في أقطار الارض ، وعلى كل لسان ، وهمت عائشة أن تثور لقتل حجر ، وقال الشعراء في ذلك فأكثرُوا ،

(١) وفي رواية ثانية فلا تنبرأوا مني . ولكن الشيخ الانصاري رجح الرواية الاولى في ملحقات المكاسب - باب التقية - .

وخاف معاوية من الثورة ، وأصابه قلق ممض ، وقصة هذه المحنة مفصلة في كتب السير والتاريخ ، ولكنني لم أجد من وفاها حقها كالدكتور طه حسين في كتاب — علي وبنوه — فانه ينتقل بالقارئ الى زمان الفاجعة ومكانها ، يسمعه تلك الصيحات والاحتجاجات ، ويجعله يحس ويشعر بما كان يشعر به كل مسلم من النعمة على معاوية وعماله ، وكيف تكشف للكبير والصغير والقريب والبعيد أن الملك عند معاوية فوق الدين والانسانية والمروءة .

وقتل ابن زياد والحجاج على حب أهل البيت الوفاء الرجال وفيهم الصحابي والتابعي والفقيه والزاهد والمحدث ، واخبار ذلك متواترة في كتب التاريخ والتراجم ، نذكر على سبيل المثال ما فعله الحجاج مع الفقيه الزاهد سعيد بن جبير :

قال الحجاج لسعيد : أعلي في الجنة او في النار ! . فلم يجب سعيد بغير البكاء ، فأمر الحجاج باحضار الذهب والفضة وقال لسعيد : أتحب أن لك شيئاً منه . قال سعيد : لا أحب ما لا يحبه الله . ولما يش الحجاج أن يستميله بالمال أمر بقتله ، فقال سعيد : أشهدك يا حجاج أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . فقال الحجاج أقتلوه ، فضحك سعيد ، قال الحجاج ما يضحكك ؟

قال: جراتك على الله ، وحلمه عليك . وطلب سعيد أن يصلي
لله ، فاستقبل القبلة ، وقال : وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . ولما قتل قال
الحسن البصري : والله لو اشترك اهل المشرق والمغرب في قتله
لأكبهم الله على وجوههم في النار .

وكان الحجاج يرى سعيداً في المنام قابضاً على تلايبيه ،
ويقول له : يا عدو الله فيما قتلتني ، فيستيقظ مذعوراً ، ويصيح
مالي ولسعيد !

وأفاض الشعراء بمدح آل الرسول ، ونشر فضائلهم في حياة
النبي ﷺ وبعد وفاته الى يومنا هذا ، ومنهم من لاقى من التعذيب
والتكيل ما لاقاه العلماء والشيوخ في هذه السبل ، وبالتالي فان
منزلة أهل البيت عند المسلمين تأتي بعد منزلة النبي بلا فاصل ،
وقد يتغاضى المسلم عن يشتم عرضه وامه واباه ، أما اذا مس
مقام الرسول او أحد أهل بيته فانه يثور ويضحى بالنفس
والنفس .

وإذا التمسنا تفسيراً لهذه المودة والتعظيم وجدناه في الدين
والعقيدة ، في كتاب الله وسنة نبيه ، وجدناه في علومهم وشمائهم ،
فانهم لم يرثوا عن النبي ﷺ شرف الاتساب اليه فحسب ،

وإنما ورثوا علومه وشمائله . وأحب الخلق للمسلم بعد النبي من
أحبه النبي ، أو حفظ شيئاً من علومه أو عمل بأوامره أو اتصف
ببعض صفاته ، فكيف بأقرب الناس إليه ، وأحبهم لديه ، ووارثي
علومه وأخلاقه ، وأمنائه على دينه وشريعته .

من فضائص آل البيت

•

إن قوانين الاسلام واحكامه من الصيام والصلاة الى العقاد والموجبات إلى الاحوال الشخصية الى العقوبات كلها عامة تشمل كل بالغ راشد تقياً كان او شقياً ، عالماً او جاهلاً ، حسيباً او غير حسيب ، فليست الشريعة لصالح فئة دون فئة ، او فرد دون فرد ، وقال العلماء في كتب أصول الفقه : إن التعاليم الواردة في الكتاب والسنة لا تختص بمن سمعها من الرسول الأعظم ، ولا بمن وجد في عهده ، بل تعم الغائب والحاضر ، ومن وجد ويوجد من غير استثناء ، فلا فرق بين أهل البيت وغيرهم من حيث أنهم مكلفون بطاعة الله ، وامثال أو امره وتعاليمه ، وإنما الفرق ، أنهم أعلم الناس بتلك التعاليم ، وأسبقهم إلى العمل بها ، وبثها وانتشارها ، وأنهم الدعاة الهداة إليها ، فمن أخذ عنهم فقد أخذ عن النبي ، لأنهم ورثة علمه ، وأمناء شرعه ، وأهل بيته ، وأهل البيت ادرى بما فيه

من الجار القريب والتابع الحبيب .

لقد رأينا أبناء النبلاء يتكاسلون ولا يعملون ، بل رأيناهم
لا يتناهون عن منكر اتكالاً على الأجداد مرددين « كان أبي » . والله
در الجواهري حيث يقول :

وتنازروا بالجاهلية شجها

من قبل نور الفكر والاسلام

قلية يلجا إليها مقعد

لا الحزم ينجده ولا الاعزام

وبها تستر عن صغارة نفسه

خزيان يأكل زاده وينام

ومحمد رفعت رسالة ربه

كفاه لا الأخوال والأعمام

وهكذا أهل البيت كجدهم الرسول رفعتهم الأعمال لا

الأنساب ، إنهم أشرف من كان ويكون حسباً ونسباً ، ولكنهم

أخذوا أنفسهم بالتواضع ، والشدة في جنب الله سبحانه ، وأصدق

كلمة قلت فيهم انه « ما عرض لأحدهم أمران قط هما لله رضى

إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه ... يعمل عمل رجل كأن وجهه بين

الجنة والنار يرجو ثواب هذه ، ويخاف عقاب هذه » . قيل للامام

زين العابدين (ع) : أتحمل نفسك هذا التعب والجهد من الصيام والقيام، وأنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً على هذه المنزلة ! وأين عبادتي من عبادة جدي امير المؤمنين !

ومن هنا فضل الله أهل البيت، ومنحهم الامتياز على غيرهم، خصهم بأشياء، وهم عباد مأمورون ومستولون، ولكنهم مكرمون، لأنهم لا يسبقونه بالقول، وبأمره يعملون، من تلك الخصائص :
١ - الصلاة والتسليم في الصلاة على جدهم الرسول ﷺ . وعليهم قال الفخر الرازي عند تفسير الآية ٥٥ من سورة الاحزاب « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » :

« سئل النبي عليه السلام كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » .
وغريب^(١) أن يترك الرازي الصلاة على آل محمد، وهو

(١) واغرب منه قول الزمخشري « القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم . اما الصلاة على احد من أهل بيت النبي منفرداً عنه فكروه ، لأنه يؤدي الى الاتهام بالرفض » .

ينقل هذا الحديث الشريف ، والشيعه يروون الحديث بدون كلمة
على بين محمد وآله ، وإبراهيم وآله ، لذا يقولون اللهم صل على
محمد وآل محمد ، وتقول السنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .
وقال الشيعة : تجب الصلاة على محمد وآله في التشهد ،
وتبطل الصلاة بتركها ، وقال ابو حنيفة ومالك : لا تجب ، ولكنها
تستحب ، وقال الشافعي : تجب الصلاة على محمد ، ونقل عن احمد
ابن حنبل روايتان أشهرهما ما ذهب اليه مالك (١)

٢ — قال الشيعة الامامية : من سب محمداً او فاطمة الزهراء
او احد الأئمة المعصومين او احد الأنبياء جاز لسامعه قتله ، ولم
ار فيما لدي من كتب المذاهب الأربعة كتاباً تعرض لهذه المسألة ،
ولكن صاحب الجواهر نقل في المجلد السادس — باب الحدود —
أن رجلاً في عهد الامام الصادق شتم النبي ، فجمع والي المدينة
فقهاءها ، وكان يومذاك زياد بن عبيد الله الحارثي ، فسألهم وأفتوه ،
ولكنه لم يثق بفتواهم ، فطلب الامام الصادق ، ولما حضر قال له
الوالي : ما تقول في رجل شتم الرسول ؟ فقال الامام : حتى أنظر
ما قال هؤلاء الفقهاء ، قالوا : يؤدب ويضرب ويعزر ويحبس ،
فقال لهم : أرأيتم لو ذكر رجلاً من اصحاب النبي ما كان الحكم

(١) ميزان الشعراني .

فيه ؟ قالوا : مثل هذا . قال : أليس بين النبي وبين رجل من أصحابه فرق ! . فقال الوالي : دع هؤلاء يا أبا عبد الله ، لو أردناهم لم نرسل إليك ، فقال الامام : أخبرني ابي أن رسول الله قال : من سمع احداً يذكرني ، فالواجب أن يقتل من شتمني ، ولا يرفع الى السلطان ، والواجب على السلطان اذا رفع إليه أن يقتل من نال مني ، فقال الوالي : اقتلوا الرجل .

٣ — أن لهم سهماً في الغنائم ، كما نصت الآية ٤١ من سورة الأنفال « وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . وبعد أن اتفقت كلمة المذاهب الاسلامية على أن المراد بذي القربى قرابة الرسول ﷺ ، وأن لهم سهماً في الغنيمة اختلفوا في معنى الغنيمة ، وما تشمله من الاموال ، وفي كيفية القسمة ، وفي أقسام المستحقين للغنيمة ، ويتفرع على خلافهم مسائل ،

١ — قال السنة : معنى الغنيمة في الشريعة ما يأخذه المسلمون من المشركين بالحرب والقتال .

وقال الشيعة الامامية : الغنيمة تشمل جميع ما يأخذه المسلمون من المشركين بالقتال والحرب ، وبالصلح ، وبالاغارة على بلاد الشرك ، وقالوا : يلحق بالغنيمة من حيث وجوب الخمس

المعادن التي يجدها الانسان في أرضه ، والكنز المدفون الذي لم يعرف صاحبه والغوص ، وهو الجواهر التي تستخرج من البحر ، والمال الحلال المختلط بالحرام مع عدم تمييز الحلال من الحرام ، وكل مال يفضل عن مؤنة الانسان ، سواء اكتسبه من الصناعة او التجارة او الزراعة ، كل ذلك يجب فيه الخمس عند الشيعة ، وقد أفردوا في كتب الفقه باباً خاصاً للخمس غير باب الزكاة .

ب — قال السنة : ان المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل في الآية يتامى الناس ومساكينهم وأبناء سبيلهم ، سواء أكانوا من بني هاشم او من غيرهم .

وقال الشيعة الامامية : المراد خصوص اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ممن انتسب الى هاشم بالأبوة علوياً كان او عقلياً او عباسياً ، ولا تشمل الآية يتيماً ولا مسكيناً ولا ابن سبيل من غير الهاشميين .

ج — قال الشافعي وابن حنبل : تقسم الغنيمة على خمسة اسهم سهم رسول الله ، ويصرف على مصالح المسلمين ، وسهم يعطى لذوي القربى من غير فرق بين الاغنياء والفقراء ، والباقي للفرق الثلاثة ، وهم اليتامى والمساكين وأبناء السبيل .

وقال أبو حنيفة : إن سهم الرسول سقط بموته ، أما ذوو

القريب فهم كغيرهم من الفقراء ، يعطون لفقرهم لا لقربهم من الرسول .

وقال مالك : يرجع أمر الخمس الى الامام يقسمه حسب ما يراه من المصلحة ^(١) .

وقال الشيعة الامامية : ان الاسهم الثلاثة الاول سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى يفوض أمرها الى الامام أو نائبه يضعها حسب ما يراه من المصلحة ، والاسهم الثلاثة الاخرى تعطى لايتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ، ولا يشاركهم فيها غيرهم ^(٢) .

(١) تفسير الرازي ، آية الغنمة ، وميران الشعراي باب الغنمة .
(٢) مستمسك العروة الوثقى للسيد محسن الحكيم المجلد السادس باب الخمس
وجمع البيان آية الغنمة : ومائر كتب الشيعة الامامية .

افهمو آل البيت

•

قال الرسول ﷺ : أدبني ربي فأحسن تأديبي . وأدب هو أهل بيته فكانوا كما أراد ، وقد أفاض اصحاب التراجم والسير في بيان أخلاقهم ، ونقف نحن وقفة قصيرة عند اخلاق الامام ، كان علي صلباً في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، ولم يكن الحق في مفهومه ما كان امتداداً لذاته وسلطانه ، فقد تساهل في حقوقه الخاصة حتى أستغل اعداؤه هذا التساهل عفى عن مروان بن الحكم بعد ان ظفر به في وقعة الجمل ، وعن عمرو بن العاص حين تمكن منه يوم صفين وسقى اهل الشام من الماء بعد ان منعوه منه وكاد يهلك جنده عطشاً ، وانما كان الحق في مفهومه ان لا يستأثر انسان على انسان بشيء كائناً من كان . جاءت امرأتان ذات يوم تشكوان فقرهما ، فأعطاهما ، ولكن أحدهما سأله ان يفضلها على صاحبها لانها عريية ، وصاحبها من الموالي ، فأخذ قبضة من تراب ،

ونظر فيه ، وقال : لا أعلم ان الله فضل احداً من الناس على احد
إلا بالطاعة والتقوى ، وطلب أخوه عقيل ، وهو ابن امه وأبيه
شيئاً من بيت المال فمنعه ، وأرادت ابنته أم كلثوم ان تتزين يوم
العيد بعقد من بيت المال على ان ترده عارية مضمونة حين كان
أبوها خليفة فغضب، وطلب طلحه والزبير الوظيفة على ان ينصراه
وإلا عارضا وأثارا عليه حرباً شعواء فأبى ، ولمّا أشير عليه ان
يخادعهما ويخادع معاوية حتي يستقيم له الأمر قال : لا أداهن في
ديني ولا أعطي الدنية في امري . وأبى أن ينزل القصر الأبيض
بالكوفة ايثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء ، وكان يلبس المرقع
حتى استحي من راقعه ، كما قال : وكان راقعه ولده الحسن، ويأكل
الحبز الشعير تطبخه امرأته بيدها مواساة للكادحين والمعوزين .
أثنى عليه رجل من أصحابه فأجابه بقوله : ان من أسخف حالات
الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ، ويوضع
أمرهم على الكبر ، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم اني أحب
الاطراء واستماع الثناء . . فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة .
وكان منكراً لذاته متوجهاً بكل تفكيره الى خير الجماعة ، لا يبالي
بغضب الخاصة إذا رضيت العامة ، ويقول : ان سخط الخاصة
يغتفر مع رضى العامة ، لذا أفتنت به الجماهير في عصره وبعد

عصره ، وبوآته أعلى مكان ، لانه العنوان الكامل لآمالها وأمانها ،
ومنهم من رفعه الى مكان الآلهة ، كما يأتي الكلام عن الغلاة ،
وبحق قال له النبي ﷺ : يا علي ان الله قد زينك بأحب زينة
لديه ، وهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى بهم اتباعاً ،
ويرضون بك اماماً .

لقد بالغ علي في تمسكه بالحق ، وحاسب عليه نفسه وعماله
حتى اغضب الكثير منهم ، وبعضهم تركه وهرب الى عدوه معاوية ،
وأصبح عوناً له بعد ان كان حرباً عليه . لن يجد طلاب الوظائف
والأموال عنده آمالهم وانشودتهم ، وكيف يجمع بين الحق والباطل !
بين حق الشعب وباطل مستغليه فتألبوا عليه بقيادة زعيمهم معاوية
وأناحت لهم الحيل والخدع أن يتمكنوا من علي ، ولكن هل أتيح
لهم الفوز والنجاح بعد علي ؟ هل استقام الأمر لمعاوية بالرضى
لا بالخوف ؟ تحدثنا كتب التاريخ ان معاوية اول من سن في
الاسلام قانون الأخذ بالتهمة والشبهة ، وانه قتل عدداً كبيراً من
الصحابة والتابعين الذين يمثلون الرأي العام ، وأن أهل العراق
ثاروا على عامله زياد ، وان أم المؤمنين عائشة همت ان تخرج
وتقود الثورة على معاوية ، ولكنها خافت أن يصير الامر الى غير
ما تريد ، كما حدث في وقعة الجمل .

قد يظن ان الناس أحبوا علياً ، لأنه ابن عم الرسول ، وأول القوم اسلاماً فحسب ، وانهم كرهوا معاوية ، لأن أباه حارب الرسول . وأسلم كرهاً ، والحقيقة ان الناس أحبوا علياً ، لأنهم عاشوا في ظله احراراً كراماً ، لهم ارادتهم وحريتهم في القول والعمل ، ولهم اموالهم يدبرونها على مصالحهم بأرادتهم واختيارهم ، لا محاباة فيها ولا امتياز ، وكرهوا معاوية ، لأنه أخذ اموالهم وأعطاهم للأقوياء والنبلاء ، ليكونوا سلاحاً في يده عليهم ، وعوناً له على استعبادهم والتحكم باموالهم ودمائهم ، ومن الخير أن ننقل هنا وصف ضرار بن ضمرة للأمام ،

قال أحمد الشرواني في كتابه — حديقة الأفراح — صفحة ٤٣ طبعة ١٢٩٨ هجرية : إن معاوية قال لضرار صاحب أمير المؤمنين صف لي علياً ، فقال اعفني ، قال : بل صفه لي ، فقال : كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحدته ، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا ، يجينا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتينا ، ونحن والله مع تقريره لنا ، ودنوه

منا لا نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئ له لعظمته ، وإن تبسم فعن اللؤلؤ
المنظوم ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ،
فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ،
وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تملل السليم ، ويبكي
بكاء الحزين ، فكأنني الآن أسمعه يقول : يا دنيا إلي تعرضت ، ام
إلي تشوقت ، هيهات هيهات غري غري ، لا حان حينك ، فقد
طلقتك ثلاثاً ، لا رجعة لي فيك ، فعمر كقصير ، وعيشك
حقير ، وخطبك كبير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة
الطريق .

آمن علي (ع) بالله وبالانسان ، وقد ورث عنه الأئمة من
ولده هذا الايمان وساروا بسيرته ، وتخلقوا باخلاقه ، فكل
واحد منهم وافر العلم ، محب للخير والسلم ، عزوف عن الشر
والحرب ، صارم في الحق ، وانما ظهر بعض الصفات في شخص
احدهم اكثر من الآخرين تبعاً للظروف ومقتضيات الاحوال ،
ظهر في الحسن بن علي حبه للسلم وكرهه للحرب لان عصره
كان عصر الفتن والقتل ، بايعه أهل العراق بعد وفاة أبيه
بالخلافة ، وكان جيشه يتألف من أربعين ألفاً ، وظهرت صلابه
الحسين في الحق ، وضحي بنفسه وأهله وأصحابه ، لان يزيد بن

معاوية لم يترك مجالاً للمهادنة ، فقد أراد الناس على ان يكونوا
عبيداً له يحكم في دمائهم وأهلهم وأموالهم كيف شاءت له الالهواء
وظهرت آثار علوم الامام محمد الباقر وولده الامام جعفر الصادق
لأن العلم في عصرهما كثر طلابه والراغبون فيه ، وقد أفسح
لهما المجال للتدريس وبث العلوم .

قوم كأولهم في الفضل آخرهم
والفضل أن يتساوى البدء والعقب

عن اهل البيت

•

تحدث أصحاب التاريخ والسير عن محن آل البيت واطالوا الحديث ، ووضع الشيعة فيها كتباً مستقلة سموها الكثير منها باسماء تدل عليها ، كاسم مثير الاحزان ونفس المهموم ، والدمعة الساكبة ، ولواعج الأشجان ، ورياض المصائب ، واللهموف ، ومقاتل الطالبين ، وما الى ذلك ، وتكاد كلمة الباحثين القدامى والمتأخرين تتفق على ان الامويين انما نكلوا بأهل البيت أخذاً بثارات بدر وأحد ، لان علياً (ع) قتل في هاتين الحربين شيوخ الامويين وساداتهم ، ويستشهدون على ذلك بما تمثل به يزيد بن معاوية عندما قتل الحسين ، ووضع رأسه بين يديه .

ليت اشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الاسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وليس بعيد ان يتذكر يزيد الحفائظ والحروب القديمة بين محمد جد الحسين وجده أبي سفيان ، وبين علي ابي الحسين واياه معاوية ، وان ينطق بكلمة التشفي والحق . ولكن الباحث الاول على الفجيرة هو نظام الجور ، وعهد الأب لابن بالخلافة، وجعلها حقاً موروثاً والبحث في محن آل البيت واسع المجال متشعب الاطراف .

فقد ظهرت آثار هذه المحن في الدين والسياسة والأدب والتقاليد ، وما زالت تفعل فعلها الى اليوم . ولم يتح لمحن أهل البيت ، فيما أعلم ، من درسها درساً موضوعياً ، ولا يمكن شرحها وبيان اسبابها ونتائجها في مقامنا هذا . وعلى اي الاحوال فان محن اهل البيت ومحن الناس جميعاً ابتدأت منذ تغير نظام الحكم عند المسلمين ، كان الحكم في عهد الخلفاء الراشدين يقوم على مبدأ ان كل شيء لله ، فالمال مال الله ، والجند جند الله ، ومعنى هذا ان الناس جميعاً متساوون في الحقوق لان الله للجميع ، وبعد الخلفاء الراشدين تغير هذا النظام ، واصبح كل شيء للحاكم . فالمال مال الحاكم ، والجند جند الحاكم ، والناس كلهم عبيد الحاكم . قال معاوية بن أبي سفيان (الارض لله ، وانا خليفة الله فما أخذت فلي ، وما تركته للناس فبالفضل مني) ، وعلى

هذا المبدأ وهب مصر لعمر بن العاص ، مكافأة له على حسن
بلائه ضد الامام علي ، وكان جند يزيد في وقعة الحرة يجبرون
الناس على أن يبايعوا يزيد ، وينقشون أكف المبايعين علامة
الاسترقاق ، ومن أبي عن هذه البيعة ضربت عنقه ، وصعد عبد
الملك بن مروان المنبر حين تولى الخلافة ، وقال : (لا يأمرني
أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه) قال هذا
والمسلمون لم ينسوا بعد كلمة أبي بكر عندما تولى الخلافة (إذا
أحسنتم فأعينوني ، وإذا زغت فقوموني) وكلمة عمر بن الخطاب
(اعينوني بالنصيحة فيما ولاني الله من أموركم) وكلمة علي
بن أبي طالب (من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعوض
عليه كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو
مشورة بعدل ، فأنى لست في نفسي بفوق أن أخطيء) . وقال
وقال زياد عامل معاوية على العراق في خطبته البتراء (لاأخذن
البريء بالمسيء ، والصحيح بالسقيم ،) وخاطب الحجاج بن
يوسف عامل عبد الملك الناس كما يخاطب قطيع غنم له . قال :
(وأيم الله ان لي فيكم صرعى كثيرة ، قليحذر كل امرئ منكم
ان يكون من صرعاي) وسكر يزيد بن الملك يوماً وعنده جاريته
حبابة . فطرب وقال : دعوني أطير ، قالت حبابة على من تدع هذه

الامة ، قال عليك . فالامة ملك له ان شاء أبقاها لنفسه وولده ،
وان شاء أوصى بها لبعض جواريه وحجابه ، وكان خالد بن عبد
الله القسري عامل هشام على العراق يتناول راتباً سنوياً قدره
عشرون مليون درهم ، ويختلس ما يتجاوز مئة مليون ، وما الى
ذلك من اعمال الحكام وولاتهم .

من هذا النظام وحده تولدت محن آل البيت وغير آل البيت ،
وان كان نصيبهم منها أكبر وأفضع ، بهذا النظام حدثت مذبحة
كربلاء ، ووقعة الحرة ، وهدمت الكعبة ، وانتهكت حرمة مسجد
الرسول ، وسم الحسن بن علي (ع) وعبد الرحمن بن خالد بن
الوليد ، ودفع عبد الملك الجزية لملك الروم . بهذا النظام قتل
معاوية وعبد الملك بن مروان الصالحين من الصحابة وغيرهم ،
كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحنمق ، وكميل بن زياد وسعيد بن
جبير وغيرهم ، وبه كان يذبح الحجاج الناس بالآلوف في كل يوم
حتى قيل انه ذبح في يوم واحد خمساً وسبعين ألفاً ، وأنا أصدق
هذا ، وأكثر من هذا .

أراد الحاكم ان تكون الناس عبيداً له ، وأراد الناس ان
يعيشوا كراماً فحصل التنافر الشديد بين الحاكمين والمحكومين ،
ووقع من المآسي والمجازر ما ينبغي أن يقع ، وأكثر مما وقع ،

قتل جماعة من المسلمين خليفته عثمان، وهو صاحب رسول الله
وزوج ابنته، قتلوه، وهو يتلو كتاب الله لما رأوا منه ضعفاً عن
صيانة حقوقهم وانحرافاً الى اهله وذويه، فكيف يرضون
ويستسلمون لمن يسوسهم بالاهواء والشهوات وهو مع ذلك سليل
من حارب الرسول، وكاد للاسلام. كان نظام الدولة يخلق
لها في كل يوم مشاكل جديدة، تحاها باعلان الحرب واراقة
الدماء، فالمحن كما تدل على جور الحاكم ونظام الحكم تدل
في الوقت نفسه على نقمة الشعب وثورته ضد الفساد. قال معاوية:
ندع الناس ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا. اذن، هو لا يدع الناس
بحال، لأنهم مصممون على ان يحتفظوا بحريتهم؛ ويحفظونها
بالدماء والارواح.

ولا بد من التساؤل: لماذا دعر الناس لمحن آل البيت،
وتحدثوا فيها وأطالوا الحديث أكثر من غيرها؟ يمكننا ان نلخص
الجواب بأن محنهم كانت اقصى المحن جميعاً، وبأنها في نظر
المسلمين هي محن الاسلام نفسه، فقد اوصى الرسول وبالحق
في الوصية بأهل بيته، وساواهم بكتاب الله وشبههم بسفينة
نوح، واعتبر التعدي عليهم تعدياً عليه بالذات، وهذا السبب
يرجع الى الدين، ولا شيء يوازي احترام العقيدة الدينية وتقديسها

عند المسلمين ، وبخاصة في ذلك العهد .

وهناك أسباب سياسية لتوالي المحن على أهل البيت من الحكام واذاعتها بين الجماهير أكثر من غيرها . لما يش المسلمون من اصلاح الحاكم تمنوا أن يدبر شؤونهم أمام عادل ناصح لله ولرسوله ، وفي أهل البيت خير من توافرت فيه هذه الصفات ، بل كان من المسلمين حزب قوي منتشر في اقطار الأرض يدين بالتشيع لهم ، ويرى ان الخلافة حق خصه الله بعلي وبنيه ، وقد أعلن الشيعة هذا المبدأ في أشعارهم ، واتخذوه أساساً لتعاليمهم ، وعملوا على بثه في الجهر والخفاء ، ولم يتركوا فرصة تمر الا عددوا مناقب آل البيت ومثالب من غصبهم هذا الحق ، فرأى الحكام في أهل البيت وشيعتهم خطراً كبيراً على سلامة الدولة وأمنها أكثر من غيرهم ، فخصوهم بالقسط الأوفر من المحن ، ونكلوا بهم بقسوة تفوق كل قسوة ، وقد رأى الناس في هذه المحن مورداً خصباً للتشهير بالحاكم واثارة الجماهير ، ولا شيء كالخطوب والمآسي تستدعي عطف الناس ، وتشير اشفاقهم وحميتهم وكلنا يعرف كيف استغل معاوية قميص عثمان لتألب أهل الشام على علي ، فالشيعة اذاعوا تلك المحن ، وبكوا واستبكوا الناس وفاء لأئمتهم ، ولبث الدعوة لهم ونشر مبادئهم ، واذاعها كل ناظم ومعارض

للأنظمة السياسية تبرير النقمته ومعارضته، ودعماً لأقواله، وحجته،
تظلم الشعب لآل البيت ، وفي الوقت نفسه عبر بمخنهم عن ثورته
على الفساد، على القصور الشائخة تضم المخنثين والمخنثات، والملايين
من الناس مشردون في الفلوات لا يجدون مأوى لهم ولنسائهم
وأطفالهم . ان محن أهل البيت هي محن الشعب ، ومحنة محنهم ،
وقد أعرب عن آلامه بما ألم بهم ، لاثارة العواطف ، لأن من
أساء اليهم فبالأحرى أن يسيء الى غيرهم ، ولأنهم المجموعة
الكريمة الطيبة التي يرى فيها الشعب مثاله الأعلى ، ويتمنى أن
تقوده هي ، أو من يماثلها في الصفات والمؤهلات ، وإلا فان الثورة
على النظام الجائر محتمة لا محالة .

وكل من أحس بالمصيبة ، وملك العاطفة فقد استطاع ان
يثور ، وكل من عبر عن عاطفته هذه بنحو من انحاء التعبير ولو
بالنوح والبكاء على المظلومين فهو نائر على الظلم .

ونذكر بايجاز قصتين تمثلان كيف كان الناس يحتجون
على الحكم بمحن آل البيت (ع) ، حصلت الاولى في عهد
الامويين، وهي كما تمثل هذه الناحية فانها تمثل أفضع صور القسوة
والبطش .

عندما انتهت مذبحة كربلاء ، صعد امير الكوفة عبيد بن زياد

المنبر ، وقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته ، فتصدى له رجل أعمى ، وهو عبد الله بن عفيف الأزدي ، وقال : يا ابن مرجانة ، الكذاب ابن الكذاب انت وابوك ، والذي ولاك وأبوه ، اتقتلون اولاد النبيين ، وتكلمون بكلام الصديقين !!

فقال ابن زياد : من المتكلم ؟ قال ابن عفيف انا يا عدو الله ، اتقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس ، وتزعم انك على دين الاسلام ! واغوثاه ، اين اولاد الانصار والمهاجرين ينتقمون من هذا اللعين ابن اللعين ، فقال ابن زياد للشرطة : علي به ، فقام من حضر من الازد ، وحالوا بين الشرطة وبينه ، وأوصلوه الى أهله .

فأرسل ابن زياد جنده ، فاقتحموا عليه الدار ، ولم يكن فيه الا ابن عفيف وبنت صغيرة له ، فلما أحست بهم الطفلة ارتاعت وصاحت : يا أباه أتاك القوم ، قال لها : ناوليني سيفي ، فأخذ السيف ، ودار به يذب عن نفسه ، ويهوي به بقوة وعزم على صوت الحركة ، وابنته تحوم من حوله تذرف الدموع ، وترسل الزفرات ، وتصيح والهة : ليتني كنت رجلاً أذب عنك هؤلاء الفجرة قاتلي

العترة البررة ، ولما تكاثروا عليه أخذوه اسيراً الى ابن زياد، فقال
له ابن زياد : ما تقول في عثمان ؟
فقال : ما أنت وعثمان ! سلمي عنك وعن ابيك ، وعن يزيد
وأبيه .

قال : لتذوقن الموت غصة بعد غصة .
قال : الحمد لله الذي رزقني الشهادة على يدي ألن خلقه ،
بعدهما يشت منها .

تصور لنا هذه الحادثة كيف كان الامويون يدعمون سلطانهم
بقوة السيف ، والبطش بالصالحين الاخيار ، الوطنيين الأحرار
وكيف تراكم الاستياء في نفوس الناس حتى آثروا الموت والتضحية
بالنفس على الحياة في ظل أنظمة الجور والفساد .

« قصة دعبل واللصوص »

والقصة الثانية حصلت في عهد العباسيين، نظم دعبل الخزاعي
قصيده التائية المشهورة يمدح بها اهل البيت يعدد مناقبهم ،
وينوح على شهدائهم ، ويذكر ألواناً من المآسي التي ألمت بهم ،
وقد حفظتها الألسن ، ووعتها القلوب ، وتغنت بها الجماهير، لأنها

تعبّر عن حياتهم وبؤسهم ، وعما تكنه نفوسهم من المقت والثورة
على الفساد ، منها قوله :

مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزل وحي مقفر العرصات

رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة

وردت أجاجاً طعم كل فرات

تراث بلا قربى وملك بلا هدى

وحكم بلا شورى بغير هداة

أرى فيأهم في غيرهم متقسما

وأيديهم من فيثهم صفرات

وآل زياد في القصور مصونة

وآل رسول الله في الفلوات

والقصة ترتبط بهذه القصيدة وصاحبها :

خرج دعبل مع جماعة في سفر ، فلما صار في بعض الطريق

إعترضتهم اللصوص ، وأخذوا ما كان معهم حتى الثياب على

أبدانهم ، وبعد أن استولى اللصوص على الغنيمة تجمعوا حول

رئيسهم ، فشرع هذا ينشد قصيدة دعبل التائية ، فتعجب دعبل ،

لص ينشد مديح المظلومين ، قاطع طريق يبكي على المنكوبين !!

وفي الوقت نفسه اغتبط بشهرته ، وإذاعة شعره ، وتقدم من
الرئيس ، وقال له : يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟
فقال له : ويلك ، ما أنت وذاك !
قال : لي فيه سبب أخبرك به .
قال : إن صاحبها أشهر من أن يجهل ، هو دعبل الخزاعي
شاعر آل محمد جزاه الله خيراً .
قال : أنا دعبل ، وأنشده من شعره ، وشهد أهل القافلة أنه
هو ، فصاح الرجل بأصحابه : من أخذ شيئاً فليرده كرامة لشاعر
أهل البيت ، فرجع الى الناس جميع ما أخذ منهم .
وإذا كانت هذه القصة تعبر عن منزلة أهل البيت في نفوس
المسلمين ، والتظلم لهم فانها في الوقت نفسه تعبر عن ثورة الشعب
على الفساد ،

طائفة كربلاء

وأثرها في حياة الشيعة



كانت الأسباب الاولى لمحزن أهل البيت سياسية ، وبعد حدوثها تركت أثراً بارزاً في حياة طائفة كبيرة من المسلمين كانت ولا تزال تدين بالولاء لأهل البيت ، فكارثة كربلاء ، وهي أفضع ما حل بأهل البيت من كوارث ، قتل فيها الحسين بن علي وسبعة عشر شاباً وطفلاً من أهله ، وأكثر من سبعين رجلاً من أصحابه ، فيهم الصحابي والتابعي ، هذه الحادثة جعلت كربلاء مزاراً مقدساً عند الشيعة يفد إليها في كل سنة عشرات الألوف للزيارة من أنحاء البلاد ، وفي كثير من الأحيان يوصي الشيعي في الهند وإيران وأطراف العراق أن ينقل رفاتة من بلده ليدفن في كربلاء رغبة في ثواب الله وجزائه ، وتحيي الشيعة في كل سنة وفي كل مدينة وقرية من بلادهم ذكرى مقتل الحسين في الثلث الأول من

شهر المحرم وفي بعض أيام السنة ، يجتمعون للاحتفال بهذه الذكرى ، فيروي الخطيب بعض أخبار كربلاء ومأساتها ، ويعدد المناقب والسوابق لشهادتها ، وينوح عليهم شعراً ونثراً ، ويسمون هذه المحافل بمجالس التعزية ، وقد وضعوا لها كتباً خاصة .

قتل الحسين (ع) في أول سنة إحدى وستين هجرية ، وقد مضى على قتله أكثر من ألف وثلاثمئة سنة ، ومن يوم الفاجعة الى يومنا هذا ، والشعراء ينظمون في واقعة الطف القصائد في اللغتين الفصحى والقومية ، ولو جمعت بلغت عدة مجلدات ، وهي تمثل جانباً هاماً من الثقافة العربية ، ولكن لم نر من أوليائها عناية الدرس والبحث .

لقد أهتم القدامى والمحدثون من أساتذة الأدب « بالمعلقات » ودرسوها درساً وافياً ، فكان الأولى بهم أن يدرسوا هذه القصائد ويفردوا لها باباً خاصاً في الأدب باسم « الحسينيات » فيبحثوها من جميع جهاتها ، ويبينوا ما فيها من الاتجاهات الفنية والسياسية والدينية ، ولو فعلوا لأسدوا للأدب خدمة كبرى .

أهمل أساتذة الأدب « الحسينيات » إما جهلاً بها ، وإما استخفافاً بشأنها ، ولو أولوها يسيراً من العناية لوجدوا في الشعر العربي شيئاً غير المدح والهجاء والغزل والرثاء ، لوجدوا ثورة دامية

تستتر باسم النوح والبكاء ، لوجدوا نقمة على الاوضاع والحكم
والحكام باسم تعزية الحسين بن علي (ع) ، ولكنها بالحقيقة تعزية
للسول بذهاب الاسلام وجهوده في سبيل الدين ، لأن القوة بعده
أصبحت بيد العابثين بتعاليمه وشريعته .

وننقل أياتاً من الحسينيات للتدليل على أن منها ما يهدف
إلى أغراض وراء النوح والبكاء على قتلى كربلاء ، فمن قصيدة
للشيخ عبد الحسين الأعم :

يا وقعة الطف كم أوقدت في كبدي
وطيس حزن ليوم الحشر مسجورا
كأن كل مكان كربلاء لدى

عيني وكل زمان يوم عاشورا
ذكر الشاعر كربلاء ، وتفجع وتوجع لما أصاب أبناء الرسول
وبناته من القتل والسبي ، ثم ألفت وأعلن أن الظلم ما زال ، وإن
وقعة الطف تتكرر في كل زمان يتحكم فيه القوي بالضعيف ،
وفي كل مكان ترتفع أنات البائسين ، وأصوات المظلومين ، وإن
النبي كما يتألم ويحزن لقتل ابنائه فإنه لا يرضى أن يشقى أحد
بفقر ، أو يمنع عن حقه لخمول ، وإنه كما يعز عليه أن تسير
بناته مسيبات من بلد الى بلد كذلك يعز عليه أن تسير أم اليتيم

من مدرسة الى مدرسة تخضع وتتضرع للقائمين عليها أن يقبلوا
يقيمها فيأبوا إلا بعد دفع القسط وثمان الكتب ، وهي لا تملك
لقمة العيش .

ومن قصيدة للحاج هاشم الكعبي :
تالله ما سيف شمر نال منك ولا
يداسنان وإن جل الذي ارتكبوا
أصابك النفر الماضي بما أبتدعوا
وما المسبب لو لم ينجح السبب
وشمر وسنان هما اللذان ذبحا الحسين (ع) ، يقول
الشاعر : إن يزيد وجنوده لم يقتلوا الحسين ، وإنما قتله أبوه
معاوية الذي مهد الطريق ليزيد وامثاله ، وجعل الخلافة
كسروية قيسرية بعد ان كانت شورى بين المسلمين ، وقد جاءت
عاقبة توريث الملك وبالأعلى الناس وتعاليم الاسلام الى يوم يبعثون
ومن قصيدة للسيد جعفر الحلي :

ما خلت أن الدهر من عاداته

تروى الكلاب به ويضمي الضيغم

ويقدم الأموي وهو مؤخر

ويؤخر العلوي وهو مقدم

وليس هذا احتجاجاً على الدهر ، وإنما هو احتجاج على الذين
يؤثرون الفاسق الجاهل على المؤمن الفاضل ، ويقدمون المجرم
اللئيم على الطيب الكريم ، وإحتجاج على الذين يتصدون لقيادة
الناس ، ولا يثق بهم أحد من الناس .

ومن أبيات للسيد حيدر الحلي :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدهم
فلا مشيت بي في طرق العلى قدم
لا بد أن أتداوى بالقنا فلقد
صبرت حتى فؤادي كله ألم
عندي من العزم سر لا أبوح به
حتى تبوح به الهندية الخدم
مالي أسالم قوماً عندهم ترثي
لا سالميني يد الأيام إن سلموا
لا تطهر الأرض من رجس العدى أبدا
ما لم يسيل فوقها سيل الدم الحرم
قد آن أن يمطر الدنيا وساكنها
دم أغر عليه النقع مرتكم
وما قرأت كهذه الأبيات في استنهاض الهمم للثورة على
الظلم ، والاستماتة في سبيل العدل والحرية ، في سبيل حياة كريمة

لا تفوق فيها ولا امتياز إلا للكفاءة العلمية والخلقية.
ومن أبيات للحاج هاشم الكعبى يصف حيرة النساء الفاطميات
ولوعتهن حين انتهت المذبحة ، وشاهدن مصارع الشهداء ، وجسم
زعيمهن الحسين وكفيلهن ملقى على الارض مخرجاً بالدماء ،
ورأسه على الرمح ، نذكر الأبيات لأنها تقدم للقارئ صورة
للحزن والشكل لا يجدها في أي شعر عربي، حتى في شعر الخنساء:
وثواكل في النوح تسعد مثلها
أرأيت ذا ثكل يكون سعيدا
ناحت فلم تر مثلهن نوائحا
إذ ليس مثل فقيدهن فقيدا
لا العيس تحكيها إذا حنت ولا
الورقاء تحسن عندها التريدا
إن تنع أعطت كل قلب حسرة
أو تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن
زفرتها تدع الرياض همودا
تخفي الشجى جلدافان غلب الاسى
ضعفت فأبدت شجوها المكمودا

نادت فقطعت القلوب بشجوها

لكنما انتظم البيان فريدا

ثاكلة ترنو الى ثاكلة مثلها تنوح على قتلاها ، وتندب أسراها ،
باكية شاكية من عدو سد عليها الفضاء ، أمامها ووراءها ، تنوح
ولكن أين ترديد الورقاء ، وتحزن ولكن أين حنين العيس ! لأن
قتيلها لا يشبه قتيل ، ومصابها لا يشبه مصاب ، وعبراتها غيث
أحيا الأرض الميتة ، وأنبثها أزهاراً ورياحين ، ولكن لوافح
الزفرات المحرقة ، ولهيب الحشرات المتأججة تركتها هشيماً
تذروه الرياح .

ومن قصيدة لمهدي الجواهري تصور الغاية التي يهدف إليها
الشيعة من زيارة كربلاء ، ويوم عاشوراء ، يقول : إنه زار كربلاء ،
وشم أرضها ايتسرب الى نفسه نسيم الالباء والكرامة ، ويهب على
قلبه ريح التضحية ، وغفر خده بتراب قبر الحسين حيث بضع
خده ، ولم يخضع لظالم ، وجالت الخيل على صدره وقلبه ، ولم
يهادن ويماليء من سلب الشعب حريته والأمة حقوقها ، ونثرت
السيوف لحمه دون رأيه وضميره ، ورفع رأسه على الرمح دون
عقيدته وأيمانه ، وأطعم الموت خير البنين والاصحاب دون
مبدئه ودعوته :

شممت ثراك فهب نسيم
نسيم الكرامة من بلقع
وعفرت خدي بحيث استرا
ح خد تفرى ولم يخضع
وماذا أروع من أن يكون
لحمك وقفا على المبضع
وأن تتقي دون ما ترتأي
ضميرك بالأسل الشرع
وأن تطعم الموت خير البنين
من الأكهلين الى الرضع
من هنا نعرف أن الشيعة انما يقدسون أرض كربلاء ،
ويحيون يوم عاشوراء ، لأنهما رمز الجهاد المقدس في سبيل
الحرية والمساواة ، وعنوان التضحية ضد الظلم والطغيان ، فموقعة
كربلاء كانت ثورة على الظلم والفساد فاحياؤهما كذلك ثورة
على الظلم والجور .

التقية

•

قال ابن أبي الحديد في اول الجزء الثالث من شرح نهج البلاغة : ما يتلخص بأن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عماله ، برئت الذمة ممن يروي شيئاً في فضائل علي وأهل بيته ، وان لا يجيزوا لأحد من الشيعة شهادة ، وأن يمحو اسم كل شيعي من ديوان العطاء ، وينكلوا به ، ويهدموا داره ، وامثّل العمال أمر سيدهم ، فقتلوا الشيعة تحت كل حجر ومدر ، وطردهم وشردوهم ، وقطعوا الايدي والارجل ، وسملوا الاعين ، وصلبواهم على جذع النخل . وزاد الضغط بعد معاوية أضعافاً ، وبالاخص في ولاية عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، وولاية الحجاج ، بن يوسف ، حيث قتل الشيعة كل قتلة ، وأخذوا بكل ظنة وتهمة حتى ان الرجل ليقال له زنديق او كافر أحب اليه من أن يقال له شيعي . ومن هذا الضغط التزم الشيعة طريق (التقية) .

ومعناها عندهم الحيطة والحذر من القوي الظالم الذي يأخذهم دون أن يحاكمه ويأذن له بالدفاع عن نفسه . واليوم لا أثر للتقية عند الشيعة حيث لا خوف عليهم ، ولا هم يرهبون .

واستدل الشيعة على جواز التقية بأيتين ، الأولى الآية ١٦٦ من سورة النحل « الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » . قال الرازي في تفسيره الكبير :

روي أن اناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه، وكان في من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه، مع أنه كان بقلبه مصراً على الايمان، عمار، وأبواه ياسر، وسمية وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم، فهؤلاء عذبوا بأنواع العذاب فأما سمية فقيل: ربطت بين بعيرين ووخزت في قلبها بحربة وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال، وقتلت، وقتل ياسر، وهما أول قتيلين قتلوا في الاسلام، وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فقيل يا رسول الله: إن عماراً كفر ، فقال كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه ، فاتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل الرسول يمسح عينيه ، ويقول مالك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت .

الآية الثانية ٢٨ من سورة آل عمران « الا أن تتقوا منهم

تقاة . قال الرازي في تفسيره :

ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار
الغالبين ، إلا أن مذهب الشافعي إذا شأكلت الحالة بين
المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس . . وقال
بجاهد : هذا الحكم كان ثابتاً في اول الاسلام لأجل ضعف
المؤمنين ، فأما بعد قوة دولة الاسلام فلا ، وروى عوف عن الحسن
أنه قال : التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة . وهذا القول أولى ،
لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان .
وهذا هو مذهب الشيعة الامامية في التقية ، إذن القول
بجوازها لا يختص بهم وحدهم .

علم الامام علي بن أبي طالب

كان مظهر الحياة الفكرية عند العرب قبل الاسلام اللغة ، والشعر ، والأمثال ، والقصص ومعرفة الانساب ، وبعد الاسلام اتجهت الى كل ما تعرض له الاسلام ، واصبح مظهر الحياة الفكرية عند المسلمين دينياً . لم يتعرض الاسلام للعقائد والاخلاق والعبادات فحسب ، بل تعرض ايضاً للتشريع والقضاء وتنظيم الدولة ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض .

وكان من نتيجة تعرض الاسلام للحياة الدنيوية ان آمن المسلمون بمبدأ عام ، وهو ان الدين مصدر التشريع ، وحدا بهم هذا الايمان ان اتخذوا من الدين اساساً لحياتهم الفكرية بشتى فروعها وشعبها ، وبحثوا عن ارادة الله وقصد الرسول في كل مسألة تعرض لهم ، سواء أكانت دينية أم دنيوية ، لأن الدين اذا كان مصدر الهداية فيجب ان يكون مصدر المعرفة ايضاً ، وقد

رافقتهم هذه الظاهرة في جميع أدوارهم ، ولن ينسوها بعد ان
اتصلوا بالفلسفة اليونانية والامم المتحضرة . لم تكن الفلسفة
معروفة في صدر الاسلام ، ولما عرفها المسلمون فيما بعد انحرفوا
بها الى الدين ، وأوضح مثال على ذلك علم الكلام والتوحيد فانه
فلسفي في صورته ديني في مادته .

وليس من غرضنا الان ان نترجم لكل امام من أئمة اهل
البيت ونبين منزلته من العلوم ، وانما غرضنا الاول ان نقدم
صورة لعلومهم على وجه العموم ، وخير مثال لذلك علم الامام
علي وحفيده جعفر الصادق . فقد ذاع علمهما وانتشر وظهر أثره
في المؤلفات والمدارس الاسلامية اكثر من علم غيرهما من الأئمة ،
على انه اذا استطعنا ان نصور علم هذين العظمين امكتنا ان
ندرك من خلاله مدى علوم سائر الأئمة لان كل امام كان يأخذ
العلم عن أبيه الى أن تنتهي السلسلة الى الرسول ﷺ .

كان الامام علي بن أبي طالب عالماً بامور الدين والدنيا التي
تعرض لها القرآن والسنة ولم يخف عليه شيء . يمت الى الاسلام
بسبب قريب أو بعيد ، بل روي عنه أنه قال : لو ثبت لي الوسادة
لافتيت اهل التوراة بتوراتهم ، واهل الانجيل بانجيلهم ، واهل
القرآن بقرآنهم ، وعلمه هذا نتيجة لطول صحبته مع الرسول ،

فقد ضمه اليه وهو طفل ، وبقي في كنفه بعد النبوة الى ان لحق
النبي بالرفيق الاعلى ، وأسلم حيث لا يوجد على وجه الارض
الا محمد وزوجته خديجة ، واهتم النبي بتنشئته وتربيته ، واتخذ
أمياً لسره ، واصطفاه لعلمه ، وكان كاتبه وشريكه في نسبه وهو زوج
ابنته وأبو ريحانيته الحسن والحسين ، وآخاه حين آخى بين المسلمين ،
وهو بديله على فراشه حين همّ المشركون بقتل من يبيت في الفراش ،
واستخلفه على ما كان عنده من ودائع لما هاجر من مكة الى
المدينة ، كما استخلفه على المدينة يوم سار الى غزو تبوك ، وقال
له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، وولاه القضاء في اليمن ،
وبلّغ عنه سورة براءة ، وشهد مع النبي مشاهدته كلها ، بل كان علي
نفس النبي كما نطقت بذلك الآية ٦١ من سورة آل عمران :
« قتل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ،
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فقد اجتمع المفسرون
على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين ، وبنسبائنا فاطمة وبأنفسنا
النبي وعلي ، وقال النبي : علي مني وأنا من علي ... علي مع الحق
والحق مع علي ... علي رباني هذه الأمة ... من كنت مولاه فعلي
مولاه ، الى غير ذلك من الفضائل التي قال عنها طه حسين في
كتابه علي وبنوه « ان علياً كان اهلاً لها ولاكثر منها ، ويعرفها له

خيار المسلمين ، ويؤمن بها أهل السنة كما يؤمن بها شيعة .
هذا ، الى عقل يتسع لكل شيء وفراصة لا يكاد يخفى عليها
شيء ، وحكمة هي الحقيقة والواقع الملموس ، وبلاغة ليس فوقها
إلا بلاغة القرآن . ان هذا العلم والعقل وهذه الحكمة والبلاغة
قد جعلت من الامام مصدراً للتشريع ومرجعاً في جميع العلوم
الاسلامية ، وقدوة لكل مذهب من مذاهب المسلمين . لم يكن
للمسلمين علوم مدونة في عهد الامام ، ولما صارت لهم علوم منظمة ،
لها ابواب وفصول ، ووضعوا الكتب في الفقه والاصول والتفسير
والحديث ، وعلم الكلام والتوحيد ، والأدب وتاريخه ، والبلاغة
وأسلوبها ، وفي المذاهب والفرق ، وما الى ذلك استعان بنور علمه
وحكمته كل عالم ومؤلف ، واحتج بقوله وبلاغته كل أديب
وكاتب .

كان علي عالماً بالاصول والانظمة التي قررها القرآن والرسول
والتي تحقق للناس الرخاء والامانة ، فحرص عليها ، وأمر عماله
باتباعها والعمل بها ، من تلك الاصول :

« احترام الجماهير » . قال في عهده لمالك الاشتر النخعي
لما ولاه على مصر : « ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة...
فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم » . وكتب الى عماله على

الخراج « لا تبعين للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعملون عليها ولا عبداً ، ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم » ،
« رعاية الموظفين » . وقد أوصى الاشتر ان يختار الموظفين
الاكفاء وان « يسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح
أنفسهم . وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم ، وحجة
عليهم ان خالفوا » .

« زيادة الانتاج » . وقال للاشتر وليكن نظرك في عمارة
الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج . الى ان قال :
وانما يؤتى خراب الارض من اعواز أهلها ، وانما يعوز أهلها
لاشراف انفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء » .
« كراهية الحرب » . قال له أهل العراق عندما استبطأوه
عن حرب أهل الشام باديء الأمر : ان الناس يظنون أنك تكره
الحرب كراهية الموت ، فقال : « والله لا أبالي أدخلت الى الموت
أو خرج الموت إلي ... فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا
أطمع أن تلحق بي طائفة فتهدى وتعشو إلى ضوئي ، وذلك أحب
إلي من أن أقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها » . وقال
لأصحابه بعد ان أثخنوا في اعدائه يوم صفين : لا تتبعوا مولياً ،
ولا تجهزوا على جريح ، ولا تنهبوا مالا . فجعلوا يمرون بالذهب

والفضة في معسكرهم فلا يعرض له أحد . وبلغه ان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يشتمان معاوية وأهل الشام ، فارسل اليهما ان كفا عما بلغني عنكما . فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل قال كرهت لكم أن تكونوا شتامين لثانين ، ولكن قولوا : اللهم إحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم . « المساكين » . قال للاشتر « الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين المحتاجين وأهل البؤس والزمنى ... وأحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم » . « الرفق بالحيوان » . في الجزء الثاني من نهج البلاغة كلام للامام بعنوان « ومن وصية له كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات » . جاء في هذه الوصية :

فاذا أخذها ^(١) أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ^(٢) ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ، ولا يجهدنها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها ، وليرفه على اللاغب ^(٣)

(١) الضمير الأبل .

(٢) فصيل الناقة ولدها ، ولا يمصرها ، أي لا يبالغ في حلبها خوفاً ان يضر ذلك بولدها .

(٣) اللاغب ما أعياه التعب ، وليستأن من الاناة بمعنى الرفق .

وليستان بالنقب والظالع ، وليوردها ما تمر به من الغدر^(١) ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطريق^(٢) ، وليروحها في الساعات .

وبالتالي فان الأمام عنده علم الكتاب ، وعلم الحديث ، وعلم الفقه ، وعلم الكلام ، وعلم النحو ، أما علمه بالقرآن فقد ثبت عنه أنه قال : لو سألتهموني عن آية آية في ليل نزلت او في نهار ، في سفر أو حضر ، مدنيها ومكيها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم ، وأما علمه بالحديث فقد قيل له : ما بالك أكثر الأصحاب حديثاً فقال إذا سألته أنبأني ، وإذا سكت عنه ابتدأني ، وأما علمه في الفقه فجميع الفقهاء يرجعون اليه ، ومن بحره يغترفون ، صنف الشافعي كتاباً في الدلالة على اتباع أهل المدينة لعلي وعبد الله : وقال محمد بن الحسن : لولا علي ما علمنا حكم أهل البغي ، وقال الشعبي : ما رأيت أعلم من علي بالفرائض والحساب ، أما علم الكلام فان ما قاله المتكلمون في التوحيد ، وصفات الله ، والامامة ، والمعاد هو شرح لكلامه ،

(١) الغدر جمع غدیر .

(٢) أي إذا كان طريقان أحدهما سهل ، ولكن لانات فيه ، وآخر شاق ، ولكن فيه نبات فعليه أن يختار الثاني ، كي ترعى الابل .

أما علم النحو فهو الذي وضع أصوله وعلمها لأبي الاسود الدؤلي،
وقال الشيخ الرئيس ابن سينا لا نعرف شجاعاً وفيلسوفاً إلا علي
بن طالب (ع) ، وكل ما قيل أو يقال عن علم الامام فانما هو
شرح للحديث الشريف « أنا مدينة العلم ، وعلي بابها » .

قضاء الامام

•

اشتهر عن الامام أنه كان أقضى أهل زمانه ، والقضاء هو المحك للمواهب والرأي الصائب ، ولمن حفظ العلم حفظ دراية أو رواية قال أحمد امين في المجلد الأول فجر الاسلام «كان علي ذا عقل قضائي ، فقد ولاه رسول الله ﷺ قضاء اليمن ، وله آراء ثبتت صحتها في مشاكل قضائية عديدة ، حتى قيل عنه : قضية ولا أبا حسن لها » وهذا القول مشهور عن عمر بن الخطاب . وقد عني جماعة من فقهاء السنة والشيعة بجمع قضاياه في كتاب مستقل ، منهم الترمذي صاحب احد الصحاح الستة ، والمعاني بن محمد البصري ، ومحمد بن قيس البجلي ، وعلي بن إبراهيم القمي ، وجمع السيد محسن الامين عدة قضايا أضافها الى كتاب علي بن ابراهيم ، وطبعها في كتاب اسمه عجائب احكام امير المؤمنين :

منها : أن أربعة رجال شربوا الخمر ، وكان مع كل واحد منهم سكين ، فلما بلغ بهم السكر تباعجوا بالسكاكين ، فمات اثنان وبقي اثنان فجاء اهل القتيلين للأمام وقالوا : ان هذين قتلا صاحبينا فأقدنا منهما ، قال لهم : وما علمكم بذلك ، لعل كلا منهما قتل صاحبه ، ولكن الدية توزع على الاربعة ، فيصيب كل واحد من الاثنين الباقيين ربع كل واحد من القتيلين .
ومبنى هذا الحكم ان الاجتماع على السكر وحمل السكاكين مخالفة صريحة للشرع والقانون ، وقد نجمت جناية القتل عن هذه المخالفة التي اشترك فيها الاربعة فتكون جناية القتل مشتركة بين الاربعة ايضاً .

ومنها ان ستة غلمان تعاطوا لعباً في الفرات ، ففرق غلام منهم فشهد ثلاثة على الاثنين انهما اغرقاه ، وشهد اثنان على الثلاثة انهم أغرقوه ، فقضى بالدية اخماساً منها ثلاثة أخماس على الاثنين ، ومنها خمسان على الثلاثة .

استند هذا الحكم الى عدد الشهود ، شهد ثلاثة على الاثنين فأصابهما ثلاثة اخماس على كل واحد خمس ونصف ، وشهد اثنان على ثلاثة فأصابهم اثنان من خمسة ، على كل واحد أقل من خمس .

ومنها ان رجلين وضعا عند امرأة مالا وأوصياها ان لاتعطي المال الا لهما معاً ، وبعد أمد جاء احدهما وطلب المال مدعياً ان صاحبه قد توفي ، فاعطته المال ، وبعد قليل جاء الثاني يطلب المال ، قالت : دفعته الى صاحبك ، فدعاها الى عمر بن الخطاب وكان علي يشهد الدعوى ، وقد فهم من سير الخصومة ان الرجلين يمكران بالمرأة ، فقال للرجل : عندنا ما طلبت ، ولكن أنت بصاحبك على مقتضى الشرط ، فذهب ولم يعد .

ومنها قضاؤه في ثلاثة ، احدهم أمسك رجلاً ، والثاني قتله ، والثالث نظر الى القاتل ولم يمنعه ، قضى ان يقتل القاتل ، وتفقاً عين الناظر ، ويخلد الذي أمسكه في السجن حتى يموت .

وسئل عن رجل قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، وإن اشتريت فلانا فهو حر ، وإن اشتريت هذا الثوب فهو للمساكين فأجاب بأنه لا طلاق ، إلا في ملك ، ولا تصدق إلا في ملك .

وقال : لا يمين في قطيعة رحم ولا ظلم ولا جور ولا اكراه .

ومن تتبع احكامه في هذا الباب يجد العظمة في معرفته لطرق الاثبات ، أي لوسائل الكشف عن الواقع ، فان كثيراً من الأحكام يعرفها الصحابة كما يعرفها الامام . ولكنهم يعجزون عن ايصال الحق الى أهله ، لعجزهم عن معرفة الوسيلة التي تكشف

عن الواقع ، وتميز المحق من المبطل ، واليك المثال :

رجل ضرب آخر على رأسه ، وكان المضروب قوي البصر ، فادعى أن بصره ضعف بسبب الضربة ، والكل يعلمون أن الضارب يغرم اذا ثبت قول المضروب ، ولكن ما هي الوسيلة الى الاثبات ، ولا شيء ظاهر ، ولا أطباء في ذلك العهد ، ولا آلة تكشف الواقع ، أما الامام فقد عرف الواقع بدون الرجوع الى الاطباء والخبراء . أقعد المضروب ، ثم عرض عليه بيضة ، وقال له أتبصرها قال نعم ، فلم يزل ينحيا عنه حتى قال لا أبصرها ، فوضع علامة حيث انتهى بصره ، ثم حول المضروب الى جهة أخرى ، وعرض عليه البيضة حتى قال لا ابصرها ، فعلم على الموضع ، وما زال ينتقل به حتى علم على اربعة مواضع ، ثم قاس الجوانب الاربعة التي انتهى اليها بصره فاستوت لم تزد ولم تنقص ، فأثبت دعوى المضروب ، وغرم الضارب .

ومن هنا كان الامام (ع) أقضى الاصحاب وغيرهم .

الامام جعفر الصادق

•

عاش الامام جعفر الصادق في اواخر زمن الأمويين، وأوائل العصر العباسي حين اقبلت الدنيا على العرب بسبب الفتوح، واتصلوا بالامم المتحضرة كالفرس، وعندهم الطب والهندسة والجغرافية والحساب والتنجيم والأدب والتاريخ، والمصريين، عندهم مدرسة الاسكندرية، والسوريين الذين تأثروا بالعقلية الرومانية، وفي هذا العهد شرع بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية فخالد بن يزيد استقدم الى الشام جماعة من فلاسفة اليونان الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية، وقد عرفوا اللغة العربية، ونقلوا كتباً في الكيمياء من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي، وكان الديوان — حسابات الدولة — باللغة الفارسية في العراق فنقل في عهد الحجاج بن يوسف الى العربية، وكان في دمشق بالرومية فنقل الى العربية في عهد عبد الملك بن مروان، وقيل في عهد ابنه هشام،

ونقل ابن المقفع الذي يمثل ثقافة الفرس كنبأ عدة من الفارسية الى العربية .

أقبل المسلمون على هذه العلوم الجديدة يدرسونها الى جانب الفقه والتفسير والحديث والنحو وما إليه ، ويعقدون لها الحلقات العلمية في مساجد الشام والعراق والحجاز . وفي هذا العهد وفي هذه الحلقات كانت تقوم مناقشات دينية عنيفة قسمت المسلمين الى فرق ومذاهب ، ما ان يزال أثرها قائماً الى اليوم ، كانت هذه المناقشات تدور حول مسألة الخلافة ، ومسألة استقلال الانسان بافعاله ، ومسألة من ارتكب كبيرة ولم يتب ، ومسألة امكان رؤية الله ، ومسألة ان صفاته هي عين ذاته او غيرها ، ومسألة خلق القرآن ، ولم يكن الخلاف في هذه المسألة قد بلغ الى ما انتهى إليه في عصر المأمون . وقد كان لهذه الخلافات أثر كبير في العلم والأدب والسياسة . اما اثرها في العلم فان النظر في الخلافة يستتبع النظر في معنى الرئاسة ومهمتها ومصدرها وشروطها ، والنظر في الارادة والاختيار يستتبع النظر في عدل الله وحكم العقل واستحقاق الانسان للثواب والعقاب ، والنظر في مرتكب الكبيرة يستتبع النظر في حقيقة الايمان والكفر وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، والنظر في امكان رؤية الله يستتبع النظر في سر الوجود

وصفات الموجد والقدم والحدوث .

ان النظر في هذه المسائل وما إليها ينتهي حتماً الى النظر في الكائنات واسبابها . أما اثرها في الأدب فقد وقف الشعراء ينصر بعضهم هذا المبدأ ويدعو إليه ، وبعضهم يحاربه ويدعو الى غيره .

وكان اثرها في السياسة أظهر وأبلغ ، لأنها تتعلق بالحاكمين وشرعية حكمهم وعلاقة المحكومين بهم ، ولذا رأينا رجال الدولة ينكرون بكل عالم لا تتفق سياستهم مع اقواله وآرائه ، ويقربون اليهم كل من وجدوا في قوله مبرراً لظلمهم واستبدادهم ، ومن هنا قال بعض الباحثين : ان هذه الخلافات كانت في بدء أمرها سياسة ، ثم تغلب الجانب الديني على الجانب السياسي .

وحيث إن مسألة الخلافة ، ومسألة اختيار الانسان . ومسألة مرتكب الكبيرة تتصل بالسياسة اتصالاً وثيقاً فاننا نشير الى كل واحدة منها بإيجاز :

« الخلافة » : تجمع الرياسة الدينية والزمنية لرجل يتولاها خلافة عن النبي ﷺ ، فالسلطات بكاملها تنحصر بالامام ، وهو وحده يعين القضاة والولاة وقادة الجيش وأئمة الصلاة، وجباة الاموال ، وسائر الموظفين يعينهم بمرسوم خاص او

بقانون عام ، أو بواسطة نائب عنه يخول له ذلك .

اختلف المسلمون في وجوب نصب الامام بعد النبي وعدم وجوبه ، وافترقوا في ذلك الى فرق . قال الشيعة : يجب على الله ان ينصب اماماً للناس . وقال السنة : لا يجب ذلك على الله ، وإنما يجب على الناس . وقال الخوارج : لا يجب نصب الامام مطلقاً ، لا على الله ولا على الناس .

قال القوشجي^(١) - من علماء السنة في كتاب شرح التجريد : استدل أهل السنة على قولهم باجماع الصحابة ، وهو العمدة ، حتى جعلوا ذلك أهم الواجبات ، واشتغلوا به عن دفن الرسول ﷺ ، وكذا عقيب موت كل امام ، روي انه لما توفي النبي خطب ابو بكر ، فقال : يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمداً فانه حي لا يموت ، لا بد لهذا الأمر من يقوم به ، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله . فبادروا من كل جانب ، وقالوا : صدقت ، لكننا ننظر في هذا الأمر ، ولم يقل احد انه لا حاجة الى امام .

واستدل الخوارج على عدم وجوب نصب الامام بأن نصبه

(١) هو علاء الدين علي بن محمد ، وله عدة كتب ، وهو الذي اكمل رصد سمرقند المشهور بالزيج الجديد ، توفي في قسطنطينية ٨٧٩ هـ .

يستدعي إثارة الفتن والحروب ، لأن كل حزب يؤيد واحداً منه ،
واتفاق جميع الأحزاب على رجل معين بعيد جداً ، فالأولى سد
الباب ، على أنه لو أمكن اتفاق الكلمة على تعيين من يستجمع
الشروط بكاملها جاز أن ينصبوه اماماً لهم .

واستدل الشيعة الامامية على أن الاختيار في تنصيب الامام
لله وحده بوجوده، الأول: بأن تنصيبه لطف من الله في حق عباده ،
لأن الامام يقربهم من الطاعة بارشادهم إليها وحشم عليها ،
ويبعدهم عن المعصية بنهيهم عنها وتخويفهم من عواقبها ، واللفظ
منه واجب ، فيكون تعيين الامام وتنصيبه واجباً عليه ،

وقال المحقق الأردبيلي (١) : لطف الامامة يتم بامور، منها: ما
يجب على الله تعالى ، وهو خلق الأمام وتمكينه بالقدره والعلم ،
والنص عليه باسمه ونسبه ، وهذا قد فعله الله ، ومنها ما يجب على
الامام ، وهو تحمله الامامة وقبوله لها ، وهذا قد فعله الامام ، ومنها
ما يجب على الرعية وهو مساعدته وقبول اوامره وامثال قوله ،
وهذا ما لم تفعله الرعية ، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله
ولا من الامام .

(١) هو احمد بن محمد الاردبيلي من اعظم علماء الامامية ومراجعهم الدينية ،
ولأقواله وكتبه عندهم شأن كبير توفي سنة ٩٩٣ هـ .

الثاني : ان الله ورسوله قد يتنا جميع الاحكام ، حقيرها وخطيرها ، ولم يهمل شيئاً من اقوال العباد وافعالهم الا ينال حكمه بلفظ خاص او عام ، فكيف يترك بيان هذا المنصب الهام الذي تتعلق به جميع الشؤون الدنيوية والاخرية .

الثالث : ان اختيار النبي بيد الله ، لأن النبوة سر لا يطلع عليه سواه ، فهو وحده يعلم حيث يجعل رسالته ، كذلك اختيار الامام يرجع الى الله ، لان الامامة سر ايضاً لا يطلع عليه إلا هو ، بالنظر لخطرها ونيابتها عن النبوة .

« استقلال الانسان بافعاله » : قال القدرية ، وعلى رأسهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي : ان الانسان مخير يوجد أفعاله بارادته واختياره ، فهو مسؤول عما كسبت يده ، وقد نكل الحكام بمن ذهب هذا المذهب ، لانه يحملهم تبعة ما سفكوا من دماء ، وما حل بالناس من البؤس والشقاء ، فالحجاج بن يوسف قتل معبد الجهني صبراً ، وهشام بن عبد الله قتل غيلان الدمشقي وصلبه بعد ان قطع يديه ورجليه ، والشيعنة والمعتزلة من انصار هذا القول . وقال الجبرية ، وعلى رأسهم صفوان بن الجهم : لا إرادة للانسان فيما يصدر عنه من أفعال ، فهو كريشة في مهب الرياح ، ونتيجة هذا القول أن الحاكم مهما فعل يجب على

المحكومين أن يستسلموا له وينقادوا ، لأنه لا يسأل عما يفعل ،
وهم يسألون ، وأهل السنة على مذهب الجبرية .

« مرتكب الكبيرة » : قال الخوارج : من ارتكب ذنباً كبيراً ،
ولم يتب فهو كافر ، لا يزوج بمؤمنة ، ولا يورث من مؤمن . وقال
المعتزلة : هو في منزلة بين الكفر والإيمان ، فحكمه حكم المسلم
يزوج ويورث ، ولكنه فاسق مخلد في النار ، وقال الشيعة والمرجئة
وأهل السنة : هو مؤمن ما دام معترفاً بالله ورسوله ، والنتيجة
الطبيعية لقول الخوارج أن بني أمية خارجون عن الاسلام .

وإذا لاحظنا أن النهضة العلمية عند المسلمين ، والانقسامات
المذهبية ، والخلافات السياسية يبدأ تاريخها بعهد الامام الصادق ،
ولاحظنا مع هذا ما اتفقت عليه اهل السير والتراجم من ان
الامام الصادق ابتعد عن السياسة كل البعد ، وانصرف انصرافاً
تاماً للعلم - إذا لاحظنا ذلك كله فلا ندهش لما قرأناه من ان
اصحاب الحديث جمعوا اسماء الرواة الثقة فكانوا اربعة آلاف
رجل ، ولا لما سطره ابن حجر في صواعقه : ان الناس نقلوا عن
الصادق من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته في جميع
البلدان ، ولما قال فريد وجدي في دائرة المعارف : ألف جابر بن
حيان في الكيمياء كتاباً يشتمل على ألف ورقة ، يتضمن رسائل

جعفر الصادق، وهي خمس مئة رسالة، ولا لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل : كان الصادق ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، أقام مدة بالمدينة يفيد الشيعة، ويفيض على المواليين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بهامدة، ولاندهش أيضاً لما جاء في كتاب عقيدة الشيعة للمستشرق دوايت : وقد ساهم عدد من تلامذة الصادق مساهمة عظمت في تقدم علمي الفقه والكلام، وصار اثنان منهم، وهما أبو حنيفة ومالك بن أنس فيما بعد من أصحاب المذاهب الفقهية، وكان واصل بن عطاء رئيس المعتزلة، وجابر بن حيان الكيماوي الشهير من تلامذته، إلى غير ذلك مما ذكره الباحثون من غريين وشرقيين، وبكلمة: إذا ذكر الامام الصادق (ع) فقد ذكرت العلوم الإسلامية بشتى أقسامها وفروعها.

الطابع الخاص لمدرسة الامام

جعفر الصادق و تعاليمه



نوجز الكلام عن تعاليم الامام (ع) وطابعها الخاص في ضوء آثاره التي حفظها التراث الاسلامي ، ويستطيع الوصول إليها من أراد ذلك ، وقد حفظ له هذا اصولاً في الكيمياء ، وعلم الكلام والتوحيد ، وفي الاخلاق ، والعلوم الشرعية بشتى فروعها . في (الكيمياء) : للصادق رسائل في الكيمياء درجها تلميذه جابر بن حيان في مؤلفاته العديدة ، وقد نشر بعضها والبعض الآخر لم ينشر بعد ، وهو موجود في القاهرة ، وما طبع : كتاب الرحمة ، وكتاب الميزان ، وكتاب الملك ، وكتاب مختار رسائل جابر بن حيان ، وترك الكلام عن طابعها وفوائدها الى ذوي الاختصاص . « علم الكلام والتوحيد » : له كتاب توحيد المفضل ، درجه المجلسي في كتاب البحار بكامله ، وطبع مستقلاً بمصر ، وله

احتجاجات وتعاليم في الآليات يجدها المتبع في كتاب اصول الكافي للكليني ، وكتاب الشافي للسيد المرتضى ، وفي غيرهما من كتب الحديث والعقائد لعلماء الشيعة الامامية .

وطريقته لمعرفة ما وراء الطبيعة تركز على مبدأ الاعتماد على العقل والثقة بما يستنتجه ويستنبطه ، فكل فرض يصح إذا كان نتيجة منطقية لقضية بديهية . ويسمى هذا الاسلوب بالاسلوب الفلسفي الرياضي وبه يستدل الامام (ع) على حدوث العالم ، وبحدوثه على وجود الخالق . وكان يوجه اهتماماً بالغاً الى إزاحة كل شبهة تحوم حول وحدانية الله وعدله وقدرته وسموه ، وحول بعث الانبياء وتنزيهمهم ، فالله واحد وعالم وقادر ، وصفاته عين ذاته، ليس كمثله شيء ، وكلامه مخلوق وليس بقديم ، والبعث والحساب لا بد منهما ، والانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها ، والخلافة تكون بنص الرسول لا بالانتخاب ، والانسان مخير "غير مسير" ، وخلاصه بافعاله لا بيد احد من الناس .

(الاخلاق) : له مواعظ وحكم ، ووصايا اوصى بها اهل بيته واصحابه نجدها متفرقة في كتاب حلية الأولياء لابي نعيم الاصفهاني ، وكتاب تحف العقول للحسين الحراني ، وكتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي ، وغير ذلك من كتب

الاخلاق والحديث ، ولو جمعت لجاءت في كتاب ضخم ، وهي تضع قواعد لحسن السلوك وتقرره على مبدأ المساواة بين الناس جميعاً ، ومبدأ ان الانسان خيراً بطبعه طيب بذاته ، وانما تفسده التربية والمحيط والاضاع. فمن اقواله (أصل الانسان عقله ، وحسبه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستوون . ان النفس لثلاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فإذا هي احرزت معيشتها اطمأنت . بني الانسان على خصال ، فمهما بني عليه فانه لا يبنى على الخيانة والكذب) . وإذا كان من طبع الانسان الصدق والامانة فالكاذب الخائن إذن من اخرج الانسان عن طبعه ووضعه ، وعمل على هدم بنائه وكيانه .

(التفسير): للشيعنة كتب عديدة في تفسير القرآن، منها كتاب مجمع البيان للطبرسي ، وكتاب التبيان للشيخ الطوسي ، وكتاب كنز العرفان للمقداد ، وقدر ووا في هذه الكتب وغيرها من كتب التفسير والحديث عن الامام الصادق تفاسير لكثير من آيات الكتاب ، وخاصة ما يتعلق بالاحكام. والشيعنة لا يفسرون آية من القرآن إلا بعد مقابلتها مع سائر الآيات ، وبعد البحث عما صح عن النبي ﷺ وأهل بيته من التفسير ، لأن في القرآن آيات ينسخ او يخصص بعضها بعضاً ، وفي السنة أحاديث تفسر كثيراً من

الآيات . وكلام الله والرسول لا يتناقضان ، لأنهما بمنزلة الشيء الواحد ، فان لم يجدوا في الكتاب ناسخاً ولا مخصصاً ، ولم يجدوا في السنة مفسراً ، فسروا الآية بما يقتضيه ظاهر لفظها ، ما لم يتناف الظاهر مع العقل ، وإلا أوجبوا التأويل بما يتحملة اللفظ ، وبقبله العقل . وقد أخذوا هذه الطريقة في التفسير عن أئمة أهل البيت (ع) .

« الفقه » : تعرض الفقه الاسلامي لأحوال الانسان الخاصة والعامة ، لواجبه مع الله ، ومع نفسه وأسرته ، ولعلاقته مع الدولة والمجتمع ، ولشؤونه الزراعية والتجارية ، لما ينتج ، وينفق ، ولهذا كان الفقه الاسلامي أوسع من سائر العلوم الاسلامية ، وكانت آثار الصادق فيه أكثر منها في غيره ، فظهرت في كتب الصحاح للسنة ، وفي كل كتاب من كتب الحديث والفقه للشيعنة وفي كل باب من أبوابها ، وهذا هو السر في تسمية الشيعة الامامية أحياناً بالجعفرين ، ونسبتهم الى الامام جعفر دون غيره من أئمتهم الاثني عشر . وقد تصدى جماعة ، منهم الحافظ بن عقدة الزيدي والشيخ ابو جعفر الطوسي ، لاحصاء عدد الرواة الذين رووا عن جعفر بن محمد ، ودونت اسماؤهم ورواياتهم في الكتب الموجودة بين أيدي الناس فبلغوا أربعة آلاف رجل من أهل العراق

والحجاز والشام وخراسان ، وفي كتاب المعتبر للمحقق الشيخ علي بن عبد العال : « كتب من أجوبة مسائل جعفر بن محمد اربعمئة مصنف لاربعمئة مصنف سموها أصولاً . » وبهذه الاصول أصبح الصادق مصدراً للفقهاء والتشريع عند الشيعة الامامية . وبعد عصر الأئمة جمعت هذه العصور الاربعمئة في أربعة كتب : في كتاب «الكافي» لمحمد يعقوب الكليني ، وكتاب «من لا يحضره الفقيه» لمحمد بن بابويه القمي المعروف بالصدوق ، وكتاب «الاستبصار» ، وكتاب «التهذيب» لمحمد بن الحسين الطوسي .

« طريقة التشريع » : نهى الصادق عن العمل بالقياس ، وكان يقول : ان المقاييس لا تزيد اصحابها إلا بعداً عن الحق ، ونهى عن اتباع كل ظن لا يستند الى مصدر . ومعنى القياس إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحادهما في العلة ، وهو من الاصول الشرعية عند الاحناف .

ومن تباع أقواله وأحكامه يجد له شخصية علمية مستقلة بداتها ، فلم يسند حديثه الى الرواة ، ولا الى قول مشهور او مأثور إلا نادراً ، وتقول الشيعة : ان الامام إذا حدث ، ولم يسند ، فسنده ابوه عن جده عن الرسول ، ومهما يكن فان ما روي عنه في التشريع يرتكز على مبادئ عامة ، منها :

« الحرية » : لكل انسان، من ذكر وأشي، حرية التصرف بنفسه ، وبما يختص به من شؤون ، ولا سلطان عليه لأحد الا اذا كان صغيراً أو مجنوناً أو سفيهاً ، فيولى عليه حينئذ قوي أمين ، على أن لا تتعدى تصرفات الولي مصلحة المولى عليه .

ومنها « المساواة » : ان جميع الناس سواء امام القانون ، فكل جان يعاقب ، وكل غاصب يغرم ، ولا حصانة لحاكم ، ولا لذي منصب كائناً من كان ، وكل قانون يقسم الناس الى طبقات ، ويميز فرداً على فرد فهو جائر .

ومنها « الثقة بالانسان واحترام شعوره » : ان معاملات الانسان ، وجميع تصرفاته صحيحة بموجب الأصل ، ما لم يثبت العكس ، الا فيما يدعيه على غيره ، لأن كل انسان بريء ما لم تثبت ادانته ، وكل من يدين بدين يرتب على اعماله آثار الصحة ما دامت موافقة لما يعتقد ، وان خالفت الاسلام .

ومنها « تحريم الاستغلال » : إن الغش والربا والاحتكار ، وكل معاملة تؤدي الى استثمار الغير ، باطلة ، وكل احتيال على الشرع والقانون ، تضليل ، وكل من كان في يده شيء يمنع من التصرف به إذا أدى الى الاضرار بغيره .

ومنها « الاباحة والحل » : كل شيء فيه صلاح للناس من

جهة من الجهات فهو حلال ، وكل من اضطر الى شيء فهو له مباح ، فالجائع الذي لا يجد سبيلاً للعيش لا يعاقب على السرقة ، والمدين الذي يعجز عن الوفاء لا يحبس ولا يحجز ما يضطر اليه من مسكن ومأكل وملبس .

ومنها « الذمة » : لكل بالغ عاقل صفة ذاتية تؤهله للالتزام والالتزام بماله وما عليه ، وعلى من ضمن وتعهّد او أوّتمن على عمل أن يؤديه على وجهه ، وللطرف الثاني الحق في ان يحاسبه ويلزمه بالوفاء ، وان يتسلط عليه وعلى ماله إذا خان او قصر . والشرط الرئيس لصحة الالتزام والالتزام أن يكون العمل حقاً للملتزم وسائغاً في نفسه ، لا يستدعي ضرراً على من التزم او ألزم ولا على غيرهما ، فكل معاهدة تخرج عن اختصاص المتعاهدين او تضرّ بهما أو باحدهما او بغيرهما او تكون مجهولة الحقيقة والعاقبة ، هي تضليل يجب الغاؤها ، وكل تجارة او زراعة او صناعة فيها شائبة الضرر ، هي فاسدة ، وكل من نذر او أقسم او عاهد الله ان يفعل ما يضر به او بغيره ، فنذره وقسمه وعهده لغو . قرر الصادق هذا المبدأ باحاديث منها : من اشترط شرطاً سوى كتاب الله فلا يجوز له ولا عليه . والمسلمون عند شروطهم إلا شرطاً حلال حراماً او حرماً حلالاً . كل شرط خالف كتاب الله فهو مردود . إذا

رأيت خيراً من يمينك فدعها ، وافعل الذي هو خير، ولا كفارة عليك ، انما ذلك من خطوات الشيطان ، إن الكفارة اذا حلف الرجل على ان لا يزني ولا يشرب ولا يخون ، وأشباه هذا .

ومنها « الاقرب فالاقرب » : اعتمد الصادق على هذا المبدأ في الارث ، فجعل الاولاد والآباء أولى بالارث من الأخوة ، والاجداد والاخوة أولى من الاعمام والاخوان ، فمتى وجدواحد من المرتبة المتقدمة حجب عن الارث كل من كان في المرتبة المتأخرة ، فالبنت تحجب عمها ، كما يحجبه الابن من غير فرق ، واعتمد على هذا المبدأ ايضاً في النفقات قال : ان افضل ما ينفقه الانسان، على نفسه وعياله، ثم على والديه، ثم الثالثة على القرابة والاخوان، ثم الرابعة على الجيران الفقراء ، ثم الخامسة في سبيل الله ، وهو أخسها أجراً .

« الاجتهاد » : باب الاجتهاد مفتوح لكل من له الأهلية، ويحرم على من يمكنه الوصول بنفسه الى معرفة الاحكام أن يقلد غيره ، ويجب عليه العمل برأيه ، فان أصاب فهو مأجور ، وان اخطأ فمعذور .

« من لا يعمل لا يأكل » : إذا احتاج انسان الى النفقة ، لأنه لم يجد عملاً ، أو وجده وعجز عنه ، لمرض او شيخوخة، جاز ان

يأخذ مقدار كفايته من بيت المال ، وإن يطالب اقرباءه بالنفقة ،
إن كانوا من نوي اليسار ، أما إذا قدر على العمل ، وتركه تكسلاً ،
فلا يعطى من بيت المال شيئاً ، ولا يحكم على أقربائه بنفقته ،
لأن ذلك تشجيع له على الكسل ، واغراء بالبطالة .

ان هذه المبادئ التي ذكرناها بقصد التمثيل لا بقصد الحصر ،
تسري في الامور المدنية كالبيع والاجارة ، وما اليها من الموجبات
والعقود ، وفي الامور الجنائية كالقتل والسرقة ، وفي الاحوال
الشخصية كالزواج والوصايا ، وفي جميع المعاهدات والالتزامات ،
وهي تمثل لنا روح التشريع في احكام الامام الصادق ، ومذاهبه
في الفقه الذي استمدته من واقع الحياة ، من كرامة الانسان
وحريته وحاجاته ومصالحه ، لا من الظن والخيال ، ولا من اهواء
السلطات ؛ وشهوات المحتكرين . ان الحرية والمساواة وصيانة
حقوق الانسان واحترام ذمته وما الى ذلك ، هي الادلة الصحيحة
للفقه عند الامام الصادق ، وما الكتاب والسنة إلا تعبير صادق
ولسان ناطق لهذه المبادئ ، وهذا ما أراده حين قال لشيعة : لا
تقبلوا علينا حديثاً الا ما وافق القرآن والسنة ، او تجدون معه
شاهداً من أحاديثنا ، أي لا تقبلوا حديثاً فيه شائبة الظلم
والمحاباة . ان هذه النظرة الى الفقه نتيجة طبيعية لتلك الثقافة

الواسعة ، والعلم الغزير ، وعلى هذا المبدأ يجب على من يريد أن يفهم الفقه فهماً صحيحاً أن يعي المبادئ الانسانية قبل كل شيء ، والا فهو أبعد ما يكون عن فقه الصادق ، وآيات الله ، وسنة الرسول .

فرق الشيعة

•

ينقسم المسلمون الى فرقتين : السنة ، والشيعة ، ثم تفرعت الفرق الاسلامية عنهما . وقد نسب الى الشيعة فرق كثير ، بل نسب الى الشيعة الغلاة الذين ألّٰهوا علياً وبينه ، وليس هؤلاء من الاسلام على شيء ، لأن اساس الاسلام التوحيد والتنزيه عن الشرك ، وعلى أي الاحوال فان الموجود الآن من فرق الشيعة ثلاث : « الاولى » : الزيدية ، وأئمتهم أربعة علي بن ابي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي بن الحسين ، وفي كل عصر يختارون اماماً يدبر شؤونهم من ولد علي خاصة ، على شرط أن يكون عالماً عادلاً ، وان يقوم بالسيف في وجه الاعداء . ولا يوجبون العصمة لاحد من الأئمة . ولهم دولة في اليمن ، وأمامهم الحالي سيف الاسلام احمد بن يحيى .

« الفرقة الثالثة » : الاسماعيلية ، ونعني بهم غير أتباع علي خان ،

وأئمتهم سبعة علي والحسن والحسين وولده علي وولده محمد الباقر
وولده جعفر الصادق وولده اسماعيل ، ومنهم عدد كبير في الهند ،
ومنهم الخلفاء الفاطميون الذين ملكوا مصر أكثر من مئتي سنة ،
وآخر خليفة لهم قتله صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٧ هـ ، وليس لهم
اليوم دولة .

« الفرقة الثالثة » : الامامية ومنهم الاثنى عشرية ، وهم أكثر
فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ، وأئمتهم اثني عشر :

علي بن ابي طالب	توفي سنة ٤١ هـ
وولده الحسن	٥٠
وأخوه الحسين	٦١
وولده علي	٩٥
وولده محمد الباقر	١١٥
وولده جعفر الصادق	١٤٨
وولده موسى الكاظم	١٨٢
وولده علي الرضا	٢٠٢
وولده محمد الجواد	٢٢٠
وولده علي الهادي	٢٥٤
وولده حسن العسكري	٢٦٠

والمهدي .

ومن الامامية الحمدانيون حكموا في سوريا من سنة ٢٩٢ هـ

الى سنة ٣٦٨ هـ .

والبويهيون حكموا العراق وقسماً من ايران من سنة ٢٢٤

الى سنة ٤٢٧ هـ .

ومنهم ملوك ايران منذ عهد الصفويين الى اليوم ، ولهم مدارس دينية في الهند والعراق وايران اشهرها جامعة النجف ، وقد مضى على تأسيسها ما يقرب من الف سنة ، وجامعة قم ، وهي قديمة أيضاً ، ولهم مؤلفات في الفلسفة وعلم الكلام والتوحيد ، وفي الفقه والحديث والرجال والاصول والتاريخ والأدب واللغة والجغرافيا والطب والحساب والهندسة ، وألف السيد محسن الامين كتاباً ضخماً بلغ مئة جزء اسماء اعيان الشيعة ، وطبع منه ٣٥ جزءاً وفاجأه الموت قبل أن يتم طبع الاجزاء الباقية ، وقد ترجم فيه لجميع أئمة الشيعة الامامية وملوكهم ووزراءهم وامراءهم وعلماءهم وفلاسفتهم وعدد مؤلفاتهم في شتى العلوم .

ويبلغ عدد الامامية ما يقرب من سبعين مليوناً منتشرين في العراق ، والاكثرية فيها امامية ، وايران ، وليس فيها غيرهم إلا القليل ، ومنهم نحو اثنين وثلاثين مليوناً في الهند ، ونحو عشرة

ملايين في روسيا وتركستان، والباقي في بخارس والافغان وسوريا
ولبنان والحجاز واليمن والصين والتبت والصومال وجاوا والالبان
وتركيا والبحرين والكويت والاحساء والقطيف .

ويعتقد الامامية بكل ما أسلفنا الاشارة اليه عند الكلام عن
تعاليم الامام الصادق في علم الكلام والتوحيد. اما عقيدتهم بأئمتهم
الاثني عشر فهي أن الأئمة ليسوا بآلهة ، ولا بانبيااء يوحى اليهم .
وانما هم بشر يقومون مقام الانبياء في بيان تشريع الاحكام ،
وقد أكرمهم الله بكل فضيلة ، يمكن أن يتصف بها الانسان . بل
ان كل إمام هو أعلم وأجمع للفضائل من أهل زمانه ، وكل
الأئمة معصومون .

معنى العصمة

ومعنى العصمة عندهم ان الامام بلغ من الكمال حداً لا
يترك معه واجباً مع قدرته على تركه ، ولا يفعل محرماً مع قدرته
على فعله ، وانه منزّه عن الخطأ (والسهو والنسيان فيما يؤديه عن
الله فاما ما سواه فقد جاوز الامامية ان ينسى الامام ويسهو عنه ما
لم يؤد ذلك الى اخلال بالعقل) . ومن نسب الى الامامية غير هذا
من معنى العصمة فقد خلط بينهم وبين الغلاة .

الغلاة

والغلاة أصناف ، ومنهم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو أول من أظهر الغلو . قال هؤلاء : حل في علي جزء إلهي ، واتحد بجسده ، وبه يعلم الغيب وأتى في الغمام ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، وهذا الجزء الإلهي ينتقل بنوع من التناسخ من امام الى امام . ومنهم الخطائية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي ، قالوا : ان جعفر الصادق هو إله زمانه قال الشهرستاني : وقد بالغ الصادق في التبريء من أبي الخطاب واللعن عليه .

ومنهم المفوضه قالوا : ان الله خلق الأئمة ، ثم اعتزل تاركاً لهم خلق العالم وتدير شؤونه .

ومنهم من يدين بثالوث مكون من الأب وهو علي ، والابن وهو محمد ، وروح القدس وهو سلمان الفارسي .

ومنهم من قال : إن الأئمة بشر وليسوا بآلهة : ولكنهم يعلمون ضمائر الناس ، وما كان ويكون الى يوم القيامة ، ومن الطريف قول بعضهم ان يوم الأحد معناه علي ، ويوم الاثنين معناه الحسن

والحسين. وهذه الفرق كلها بائدة وليس لها اثر إلا في بطون
الكتب .

وقد ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فرقاً عدة
للغلاة ، ولكن اقوالها كلها ترجع الى شيء واحد ، الى ان الأئمة
آله او اشباه آله ، أو انصاف آله ، وأقوالهم هذه أشبه بأقوال بعض
الصوفية الذين لا يجدون فرقاً بينهم وبين الله في شيء . واي كان
فان للغلاة دينهم الخاص ، وهو لا يمت الى الاسلام بصلة . وما
زال كثير من الكتاب ينسب جهلاً أو تنكيلاً عقيدتهم الى جميع
فرق الشيعة حتى الامامية ، مع ان الامامية قد استدلوا في كتب
عقائدهم واصولهم على كفر الغلاة ، ووجوب البراءة منهم ومن
كل ما فيه شائبة الغلو . ومن أدلتهم على نفي المغالاة الآية ٧٧ من
سورة المائدة (قل يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير الحق ،
ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن
سواء السبيل) والآية ١٤ من سورة الزخرف (وجعلوا له من
عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين) وغيرهما من الآيات ، وقول
الامام علي : هلك في اثنان مبغض قال ، ومحب غال ، وقول جعفر
الصادق : (ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على
نفع ولا ضرر ، ان رحمتنا فبرحمته ، وان عذبتنا فبذنوبنا ، والله

ما لنا على الله من حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وانالميتون
وموقوفون ومسؤولون ، من أحب الغلاة فقد أبغضنا ، ومن
أبغضهم فقد أحبنا .

الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون . لعن الله الغلاة . ألا
كانوا يهوداً ! ألا كانوا قدرية ! ألا كانوا مرجئة ! ألا كانوا
حرورية ! أي خوارج)

فالامامية يعتقدون أن الخوارج الذين كفروا عليا هم أفضل
من الغلاة الذين ألوهو وألوهوا ابناءه .

الامامية وزيارة قبور أهل البيت

تسافر الامامية الى العراق لزيارة قبر الامام علي في النجف،
وقبر الحسين وأهله وأصحابه في كربلاء، وقبر موسى الكاظم ومحمد
الجواد في الكاظمية، وقبر علي الهادي وحسن العسكري في سامراء،
ويسافرون الى ايران لزيارة قبر علي الرضا في خراسان، وقد بني على
قبر كل واحد من هؤلاء الأئمة عليهم السلام مسجد كبير تعلوه قبة
مصفحة بالذهب، ومنارتان كذلك، وبرج ساعة، وفي داخل المسجد
صندوق ضخم محبك بالفضة حيطانه مزينة بالمرايا والقاشاني،

وتسافر الامامية ايضاً الى الحجاز لحج بيت الله الحرام في مكة ،
وزيارة قبر الرسول في المدينة ، وقبر الحسين وعلي بن الحسين
ومحمد الباقر وجعفر الصادق ، وقبر السيدة فاطمة .

وقد كان على قبورهم مساجد وقبب ومنارات هدمها الوهايون
يوم تغلب الملك عبد العزيز بن السعود على الملك حسين بن علي
واستولى على الحجاز، وتسافر الامامية الى دمشق لزيارة قبر السيدة
زينب بنت الامام علي .

عقيدة الإمامية بعلي

خطأ الخوارج عليا ، وألهه الغلاة ، ووقف الشيعة الإمامية موقفاً وسطاً بينهما ، أحبوه ، ولكنهم لم يرفعوه الى مكان الآلهة ، ولا الى منصب النبوة ، عملاً بقوله «سيهلك في صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق ، وخير الناس في حال النمط الأوسط» .

ويعتقدون أنه أفضل الصحابة قاطبة ، لأنه يشاركهم في فضل الصحبة ، ويتفرد عنهم بفضائل لا يشاركه فيها أحد منهم ، وهي :

١ — انه خليفة الرسول بنص الكتاب والسنة ، فمن الكتاب الآية ٥٨ من سورة المائدة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويأتون الزكاة وهم راكعون » . قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير « روي عن أبي ذر أنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في

المسجد فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده الى السماء ، وقال :
اللهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول فما أعطاني أحد شيئاً ،
وعلي (ع) كان راکعاً ، فأومأ اليه بخصره اليمنى وكان فيها
خاتم ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراءى النبي فقال : اللهم
إن أخي موسى سألك فقال ربي اشرح لي صدري الى قوله وأشرکه
في أمري ، فأنزلت قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما
سلطانا . اللهم وأنا محمد بيبك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر
لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ، قال
ابو ذر : فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال
يا محمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله الى آخرها .

ومن السنة قول الرسول ﷺ « من كنت مولاه فعلي مولاه ..
انت أخي ووصي وخليفتي من بعدي » الى غير ذلك من الاحاديث .
٢ — انه معصوم لم يرتكب محرماً مع قدرته على فعله ، ولم
يترك واجباً مع قدرته على تركه ، ولم يخطيء فيما ينقله
عن الرسول .

٣ — انه اول القوم إسلاماً ، وانه لم يشرك بالله طرفة عين ،
لأنه أسلم ، وهو غلام بدعوة الرسول ﷺ ، وصلى الله حيث لا
يوجد على وجه الارض مسلم آمن بمحمد إلا زوجته خديجة وعلي

ابن أبي طالب .

٤ — انه تخلق بأخلاق الرسول ﷺ ، لأنه استوحيه من أبيه أبي طالب وهو طفل ، وضمه الى عياله ، وقام بنفسه على تربيته وتنشئته ، وبقي ملازماً له ملازمة الظل لظله .

٥ — انه بات على فراش الرسول ﷺ ووقاه بنفسه حين ذهب هو وصاحبه ابو بكر الى الغار .

٦ — ان النبي اختاره أخاً له حين آخى بين المسلمين .

٧ — انه تولى غسل النبي ﷺ ودفنه ، والى هذا أشار في بعض خطب النهج « ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها علي وجهي (١) ، ولقد وليت غسله ، والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية ، ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينة منهم . يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً ! »

٨ — ان نسل النبي ﷺ منه خاصة .

٩ — انه أعلم الأصحاب جميعاً ، وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

(١) روي أن النبي قام في مرضه دماً ، فتلقاه الامام ومسح به وجهه .

١٠ — انه من أهل بيت الرسول بنص آية التطهير، وآية

المباهلة .

١١ — ان في القرآن آية عمل بها علي وحده ولم يعمل

بها أحد قبله ولا بعده، وهي آية ١٢ من سورة المجادلة « يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ». أكثر المسلمون المسائل على الرسول ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عنه ، فأنزل هذه الآية تأمرهم أن يتصدقوا على الفقراء قبل أن يسألوا فشحوا وكفوا ، قال الرازي في تفسيرها :

« روي عن ابن جريح والكلبي وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا، فلم يناجيه أحدا لا علي (ع) تصدق بدينار ، ثم نزلت الرخصة ، قال القاضي والاكثر في الروايات على ان علياً تفرد بالتصدق قبل المناجاة، ثم ورد النسخ، وإن كان قد روي ايضاً أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك .»

١٢ — ان النبي ﷺ أمر بسد جميع الابواب التي كانت

تفتح على المسجد حتى باب عمه العباس بن عبد المطلب الا باب علي أبقاه مفتوحاً .

١٣ — ان الله أمر النبي ﷺ أن لا يؤدي سورة براءة أحد إلا هو أو رجل منه ، فبعث بها علياً ، وأداها عنه .

١٤ — حضر مع الرسول جميع غزواته الا تبوكاً ، حيث استخلفه الرسول عنه على المدينة ، ولما قال له الامام : لا تخلفني يا رسول الله ، فاني لم أتخلف عنك في غزواتك قط ، قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى . وكان حامل رايته ، ومافر من زحف ، وما بارز بطلاً الا قتله ، ولم يعرف عن أحد من المسلمين أنه قتل من ابطال الشرك كالذين قتلهم الامام . أمثال مرحب وعمرو بن عبد ود .

١٥ — انه جاهد في سبيل الاسلام ، واحقاق الحق ، وضحى بما لم يضح به مسلم لا من الصحابة ولا من غيرهم ، قاتل المشركين مع الرسول على تنزيل القرآن ، وقاتل على تأويله الناكثين اصحاب الجمل ، والماركن الخوارج ، والقاسطين اهل الشام ، قاتل هؤلاء لأنه ارادهم للحق ، وأرادوه للباطل ، ولم يجد ندحة إلا السيف ولا سبيلاً إلا الحرب ، فأعلنها ، وهو لها كاره .

هذا ملخص عقيدة الامامية بالامام علي بن طالب (ع) ،

ومن نسب اليهم غير ذلك فهو اما جاهل لا يفرق بين الامامية وبين الغلاة ، واما خائن يعمل على تمزيق الوحدة بين المسلمين ، وانشقاق صفوفهم خدمة لاعداء الاسلام والعروبة ، وكيف ينسب الامامية الى المغالاة ، وقد ذكروا من جملة فضائل الامام أنه خاصف نعل الرسول ﷺ ، وأنه قال مفتخراً : أنا خاصف النعل .

تذكرت عند كتابة هذا الفصل حكاية لسعد بن أبي وقاص والد عمر بن سعد قاتل الحسين ، جرت له مع معاوية بن ابي سفيان ، أرى من المناسب أن تكون ختام الفصل .

خرج معاوية للحج، فمر على المدينة، فدعا سعد بن أبي وقاص للخروج معه فلبى سعد الدعوة ، ولما انتهت اعمال الحج انصرفا إلى دار الندوة ، وجلس معاوية على سريره وأجلس سعداً معه ، وأخذاً بأطراف الحديث ، وغرّ معاوية إقبال سعد عليه فشرع في سب الامام علي ، وقال لسعد : ما يمنعك أن تسب ابا تراب ، فبان الغضب في وجه سعد وقام وقال في حدة :

أجلستني على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إليّ مما

طلعت عليه الشمس ، والله لأن أكون صهراً للنبي ﷺ ، لي من
الولد ما لعلي أحب الي مما طلعت عليه الشمس . والله لأن
يكون النبي قال لي ما قاله يوم خيبر « لأعطين الراية غداً رجلاً
يحب الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله
على يده » أحب الي مما طلعت عليه الشمس . والله لأن يكون
النبي قال لي ما قال له في غزوة تبوك « الا ترضى ان تكون مني
بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » أحب الي مما
طلعت الشمس . لا أدخل عليك داراً بعد اليوم ، ثم نفص سعد
رداءه وخرج .

من تسبيحات الامام زين العابدين

قارن بعض الأفاضل بين الأديان ، وانتهت به المقارنة الى أن
تعاليم موسى تهدف الى السعادة الدنيوية المادية ، قال : والى هذا
أشار القرآن الكريم « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى
موسى الامر » الآية ٤٤ القصص وتهدف تعاليم السيد المسيح
الى السعادة الروحية الأخروية ، واليه اشارة الآية ١٥ من سورة
مريم « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » .
وتعاليم محمد تجمع بين السعادتين .

وأظن أن صاحب هذا الرأي أراد أن يثبت فضل الاسلام فسلك
هذه السبيل ، مع أن الشواهد على فضل الاسلام أكثر من أن
تحصى ، وهذا الرأي يستتبع نفى النبوة عن موسى وعيسى ويتنافى
مع رسالة محمد ﷺ التي اعترفت صراحة بما أنزل عليهما من
التوراة والانجيل « وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ،

وأُنزل الفرقان « الآية ٣ آل عمران ، ووجه المنافاة أن الأديان كلها تهدف الى صلاح الانسان ، والانسان مادة وروح ، كان كذلك وما زال ولن يزال ، ولم يكن مادة فقط في عهد موسى ، وروحاً فقط في عهد عيسى ، وجامعاً لهما في عهد محمد .

إن رسالة الدين أي دين تركز على الجانب المادي والجانب الروحي في الانسان ، ولا تفصل بينهما بحال . خذ أي تعليم من تعاليم الدين الصحيحة الثابتة فانك تجدها مرتبطة بالمادة ارتباطاً وثيقاً حتى الصلاة فانها إعراف من المصلي بوجود قوة داعية الى عمل الخير في دنيانا هذه .

هذا علي بن الحسين بن علي كان يلقب لكثرة عبادته وزهده بالسجاد ، وبزين العابدين ، ناجى ربه بأدعية جمعت في كتاب اسمه الصحيفة السجادية ، وأسلوبها أشبه بأسلوب نهج البلاغة لجدّه الامام علي بن أبي طالب ، وتبدو هذه الأدعية للوهلة الاولى روحية محضة لا تمت الى المادة بسبب ، ولكن بالتأمل تظهر صلتها الوثيقة بالعيش وبالاسرة وبالمجتمع ، واليك الأمثلة :

كل يوم حادث جديد

من دعاء له كان يردده في الصباح والمساء « وهذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد عتيد ، إن احسنّا ودّعنا بحمد ، وإن اسأنا

فارقنا بنم .

إن كل يوم من حياة الانسان هو صفحة جديدة 'تنشر في الصباح ، وتطوى في المساء لتنشر الصفحة التالية ، وهكذا الى اليوم الأخير من حياته حيث تنتهي آخر صفحة من الكتاب ، توضع الارقام لكل صفحة بالتسلسل ، وتسجل فيها الأعمال اليومية بالترتيب ، ويقرأ الناس هذه الصفحات ، فان وجدوا في صفحة أثراً لاعزاز الحق واذلال الباطل قالوا هذا يوم أغر ينطق بالشكر والثناء على صاحبه ، لأنه أحسن صحبته فاستقبله بعمل الخير والاحسان ، وفارقه بترك الشر والطغيان .

ان الوقت أثمن ما في الحياة ، بل هو نفس الحياة فمن استخف بوقته فقد استخف بحياته ، والكسالى الذين تتاح لهم فرصة العمل ، ولا يعملون يجب عدهم مع الاموات ، بل الأموات خير وأفضل ، لأنهم لا يزاحمون الاحياء على عيشهم ولقمة اطفالهم ، ومن قضى حياته بالكذب والرياء والخيانة ، فقد انحرف بالحياة عن طريقها القويم الى سبيل المهالك والمفاسد ، ومن استعان بوقته على عمل الخير فأرشد الضال ، وأعان الضعيف ، وأدرك اللهيء فقد أدى أمانة الدين والانسانية حق الاداء ، واستحق المدح والثناء .

التوبة

قال الامام من دعائه لطلب التوبة « اللهم انه يحجني عن مسألتك خلال ثلاث ، وتحدوني عليها خلة واحدة ، يحجني أمر أمرت به فأبطأت عنه ، ونهي نهيتني عنه فأسرعت اليه ، ونعمة أنعمت بها علي فقصرت في شكرها ، ويحدوني على مسألتك تفضلك على من أقبل بوجهه عليك ، ووفد بحسن ظنه اليك ، اذ جميع احسانك تفضل ، وإذ كل نعمك ابتداء . »

من الناس من يفعل الواجب ويترك المحرمات ، وعمل هذا خير محض ، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، ومنهم يترك الواجب ، ويفعل المحرم ، ولا يشكر النعمة ، وعمل هذا شر محض ، وهو الذي قصده الامام ، واخذ بيده الى طريق التوبة والهداية ، وعرفه أن ذنبه مهما عظم فان عفو الله أعظم ، وأن الله يقبل التائب ويثيبه ، لأنه لا يعطي الناس استحقاقاً ، بل تفضلاً ، وأن رحمته أقرب من نقمته ، ورضاه أقرب من غضبه ، يعطي الكثير ويتجاوز عن الاثم الكبير ، ولو عامل الناس بما يستحقون ما ترك على ظهرها من دابة .

الوالدان

وقال من دعائه لابويه « يا الهي أين طول شغلها بتريتي !

وأين شدة تعبهما في حراستي ! وأين اقتارهما على أنفسهما
للتوسعة علي ! هيات ما يستوفيان مني حقهما ، ولا أدرك ما
يجب علي لهما ، ولا أنا بقاض وظيفه خدمتهما .

يضحي كل من الأب والأم بالنفس والنفس في سبيل
الولد ، فيقدم صحته على صحته ، وحياته على حياته ، ثم لا يتغني
منه جزاء ولا شكورا ، وكل رغبته أن يكون شيئا مذكورا ،
فيزين محضره ، ويحيي ذكره ، ويسد مسده في غيابه ، ان الولد البار
يقابل هذه التضحية بالطاعة والشكر ، فيؤثر — كما قال الامام —
رضاهما على رضاه ، ويقدم هواهما على هواه ، ويهابهما مهابة
السلطان العسوف ، ويبرهما بر الأم الرؤوف ، ويستكثر برهما
به وان قل ، ويستقل بره بهما وان كثر .

المال

ومن دعائه « اللهم صل على محمد وآل محمد ، وهب لي العافية
من ديني 'تخلق به وجهي ، ويحار فيه ذهني ، ويتشعب له فكري ،
ويطول بممارسته شغلي ، وأعوذ بك يا رب من هم الدين وفكره ،
وشغل الدين وسهره ، فصل على محمد وآل محمد ، واعذني منه ،
واستجير بك يا رب من ذلته في الحياة ، ومن تبعته بعد الوفاة ،

فصل على محمد وآل محمد ، واجرنى منه بوسع فاضلٍ او كفاف
واصل ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واحجني عن السرف
والازدياد ، وقومني بالبذل والاقتصاد ، وعلمي حسن التقدير ،
واقبضي بلطفك عن التبذير ، واجر من اسباب الحلال ارزاقى ،
ووجه في ابواب البر انفاقي ، وازو عني من المال ما يحدث لي محلة
أو تأدياً الى بغي أو ما أتعقب منه طغياناً ، اللهم حبب الى صحبة
الفقراء واعني على صحبتهم بحسن الصبر .

تعوذ الامام من الدين ، لأنه هم وذل وقلق واضطراب ،
حيرة في النهار وسهر في الليل ، تعوذ من الدين ، وسأل الله الغنى
عنه برزق واسع فاضل ، او كفاف واصل ، ولكن المال وحده لا
يغني عن الدين اذا لم يكن معه تدبير وحسن تقدير ، فقد يكون
للمرء املاك طائلة ، ولكنه يبذرهما في غير وجهها ، فيضطر الى
الدين ، والرهنات ودفع الربا ، لذا سأل الامام ربّه أن يقومه
بالبذل والاقتصاد ، أي بالاعتدال في البذل والانفاق ، فيأتيه
المال من الحلال ، ويصرفه في الحلال ، فلا يأخذ درهماً من غير
حق ، ولا يضع درهماً في غير موضعه ، كما سأل أن يزوي عنه
من المال ما يحدث الخلاء والكبرياء ، ويؤدي الى البغي والطغيان ،
وما رأيت كلاماً أجمع وأوجز في المال من هذا الكلام ، كسب

من عمل حلال، وانفاق في سد حاجة، حياة لا لك ولا عليك ، ولا شائبة فيها من حرام ، ولا غطرسة واستعلاء ، ولا ذل واستجداء . وقد يتساءل : ان الامام سأل ربه في دعائه أن يرزقه صحبة الفقراء مع أنه تعوذ من الفقر والدين ، ومن اقواله في غير هذا الدعاء « ولا تجعل عيشي كدأ كدأ ... وصن وجهي باليسار ، ولا تبذل جاهي بالاقتار ، فاسترزق أهل رزقك ، واستعطي شرار خلقك ، فافتن بحمد من أعطاني ، وابتلي بسد من منعتني ... واعصمني من ان أظن بندي عدم خسارة ، أو أظن بصاحب ثروة فضلاً » .

الجواب : ان الفقر كما قال الامام كد ونكد وذل ، وهو فوق ذلك يحمل صاحبه على ان يظن الشر بأهل الخير ، والخير بأهل الشر ، فيندم من يستحق المدح ، ويمدح من يستحق الذم ، لذا تعوذ منه الامام ، اما صحبة الفقراء فانها السبيل الى معرفة المجتمع وأدوائه ، والباعث على الجهاد والعمل لتغيير الاوضاع الفاسدة ، على العكس من مجالسة الأغنياء فانها تبعث على الكسل والخمول ، وسوء الظن بالله والصالحين من عباده . قال الرسول الأعظم ﷺ : لا تجالسوا الموتى ، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: كل غني مترف . وقال الامام علي (ع) : مجالسة الاشرار تورث

سوء الظن بالاخيار ، وقال الامام محمد الباقر : إياكم ومجالسة الأغنياء ، فان الانسان يجالسهم . وهو يرى أن الله عليه نعمة ، فما يقوم حتى يرى أن ليس لله عليه نعمة ، وسنوضح هذه الفكرة في فصل حب المال .

الشعور بالمسؤولية

ومن دعائه « اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أسدي الي فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر الي فلم أعذره ، ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره ، ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفره ، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره » .
إن معنى الدين أن يشعر الانسان بالمسؤولية امام الله ، وامام نفسه ، وامام الناس ، وفي هذه الكلمات القصار نجدالتفسير الكافي الواقي للشعور بالمسؤولية .

فاذا رأيت قوياً يتحكم بضعيف لا يجد عليه ناصراً إلا الله وأهل الدين والضمير ، ولم تكترث ، ولم تشعر بوجود رقيب خفي فاعلم بأنه لا دين لك ولا ضمير .

وأى انسان أسدى اليك معروفاً مادياً او أدبياً ، ولم تشعر بوجوب شكره ومبادلته ، بل كان عندك ومن يجهلك سواء فأنت

ملعون بكل دين .

وإذا أساء اليك شخص ، ثم اعتذر ولم تشعر بأن عليك ان
تقبل وتسامح فأنت لثيم تبرأ منك الانسانية والاديان السماوية .
وإذا سألك « سائل » وأنت تعلم بفقره وفاقة ، ولم تشعر
بأنك أصبحت مديوناً له ، او استدنت ديناً ، ولم تشعر بوجوب
الوفاء فأنت فوضي فاقد الاحساس لا تبالي أحسنت أم أسأت .
وإذا رأيت عيياً « شخصياً » من أخيك فطرت به فرحاً
تعلنه على الناس ، ولم تشعر بان ما أخفيت من عيوبك أضخم
وأعظم كنت من دعاة الفاحشة والضلالة .

وإذا قاذك الهوى لارتكاب إثم ، ولم تشعر من نفسك برادع
يردعك عنه فأنت لا تؤمن بالله ولا بالضمير ، حتى ولو حلفت
بالله ألف مرة في اليوم ، وصليت له في الصباح والمساء .
وبالتالي فكل ما يخلق الشعور بالمسؤولية ، والخوف من
عمل الشر ، والاطمئنان لعمل الخير فهو من الدين في الصميم ،
وإلا فتخريف وأوهام .

الزكاة

•

للاتاج سبيان : الاول الأرض بما فيها من مواد خام .
الثاني الآلات الصناعية ، ورجال العمل والفكر والفن . أما
التجارة فهي لتصريف الاتاج ومبادلته . وليست سبباً له ، وإن
أدت أحياناً الى الربح فان لها مخاطرهما من الهبوط والكساد بسبب
المنافسة ، وعدم وجود الأسواق ، فأية أمة تعتمد ثروتها على التجارة
فقط فهي مهددة بالاختار . وتكلم عن الاتاج وسببه على مذهب
أهل البيت بمقدار ما يتسع له المقام .

الأرض

أقر الاسلام مبدأ الملكية الفردية ، وجعل أسبابها الارث
والبيع والهبة والعمل ، ومنه إحياء الأرض الموات بالتعمير
والزراع والتشجير ، وفي الحديث « من أحيا أرضاً ميتة فهي له ،
وليس لعرق ظالم حق » وقال الامام الصادق : الأرض لله ولمن عمرها .

فالأحياء سبب لتملك الأرض على أن لا يستتبع الأضرار بالغير ، وإلا فيكون المحيي ظالماً متعدياً لا يحترم عمله ، ولذا قال فقهاء الامامية : يشترط لتملك الأرض بالأحياء أن لا تكون عليها يد سابقة ، وأن لا تكون من مرافق الأرض المعمورة وتوابعها ، كالطريق ومسيل الماء ومطرح الفضلات ، وما الى ذلك ، لأن في إحياء هذه المرافق إيذاء وإضراراً بالغير ، وأن لا تكون من المصالح المشتركة كأرض « منى والمشعر » والطرقات والأسواق ، وما تضطر اليه البلد من مرعى الحيوانات ، والحرب وحريم العين . ومتى تمت الشروط بكاملها أصبحت الأرض ملكاً لمن أحيائها ، له أن يبيعها ويهبها ، وهي من بعده لورثته ، وأما من أحيأ أرضاً ثم تركها فقال الشهيد الثاني في كتاب المسالك — باب احياء الموات — : هي لمن أحيائها بعده ، ولا يحق للأول المطالبة بها ، لأن أصلها مباح ، فاذا تركها رجعت الى أصلها ، كمن أخذ من ماء دجلة ، ثم رده اليها ، ولأن علة التملك هي العمارة فاذا زالت العلة زال الملك .

وقسم فقهاء الامامية الأرض على نوعين : أرض عنوة ، وهي التي فتحت قسراً ، وأرض صلح ، وهي في البلاد التي أخذت صلحاً ، والاولى تصبح ملكاً للفتاحين ، والثانية تبقى ملكاً في يد

أصحابها ، وترك الكلام عن هذا التقسيم وأحكامه ، حيث لا أثر عملي له اليوم .

المعادن

قال الفقهاء الامامية : تنقسم المعادن الى نوعين : ظاهرة ، وهي التي لا يفتقر إخراجها الى عمل ، كالملح والقار والكبريت وحجر الرحي ونحو ذلك ، وهذه لا تملك بالاحياء ، بل هي ملك للعموم ، والناس فيها شرع سواء . ومعادن خفية ، وهي التي لا تظهر إلا بالعمل ، كالذهب والفضة والنحاس ، وما اليه ، وحكم هذه حكم الارض يملكها من سبق الى احيائها .

الصناعة

لم يكن في عهد الأئمة (ع) آلات وتجمع عمال ، وانما كانت الصناعة عملاً يدوياً ، أو قل لم يكن عصرهم عصر الصناعة الرأسمالية ، بل عصر الاقطاع الزراعي ، والصناعة اليدوية ، اذن لا مجال للكلام عن الصناعة في ذلك العهد على ضوء القوانين الحديثة للعمال من تأمين حياتهم ، وتحديد ساعات العمل ، وقد حاول السيد قطب في كتاب — معركة الاسلام والرأسمالية — أن يثبت أن الاسلام حدد ساعات العمل بمبدأ « لا ضرر ولا

ضرار» وهو تكلف ظاهر، فإن دلالة لا ضرر على تحديد ساعات العمل كدلالة «يا عباد الله اتقوا الله» على مشروع السنوات الخمس، وبدهي أن عدم تعرض التشريع الاسلامي لتحديد مدة العمل لا ينقص من فضله وقيمته، لأن تطور التشريع تابع لتطور الحياة، وهي لم تبلغ في ذلك العهد ما يستتبع مثل هذا التشريع، وقديماً قيل الطفرة محال، وكفى الاسلام فضلاً أن يتقبل كل جديد مفيد.

وعلى أي الاحوال فإن أهل البيت شجعوا الصناعات، واعتبروها من مقومات الحياة التي لا يتم نظام التعايش بدونها، وأنها من الواجبات التي يجوز أخذ الأجرة عليها^(١)، بل شددوا التكير على من يحول بين العامل وبين أجرة عمله، ولم تحط الحرفة عندهم من قيمة صاحبها، مهما كان نوعها، فالحائك والصباغ كفوء في الزواج لبنت الملك والامير، وتقبل شهادة صاحب الحرفة أن كان من أهل الصلح والايمان، على العكس من بعض المذاهب الاسلامية التي ردت شهادة اصحاب الحرف «الدنيئة» وأبطلت زواج ابن الحائك ببنت التاجر ان لم يأذن لها الولي،

(١) قال المرجع السيد محسن الحكيم في المجلد الثامن من كتاب مستمسك العروة ص ١٦٧ «ان وجوب الشيء لا يمنع من أخذ الاجرة عليه».

لعدم التكافؤ في الشرف والمكانة .

لقد شجع أهل البيت الصناعات ، وأوجبوا الإصلاح العمراني والزراعي ، وحرّموا الأضرار بالغير ، وأوجبوا تدخل الحاكم بالقوة في كل ما من شأنه أن يمس المصلحة العامة ، ويتجاوز الحريات المشروعة ، وفي نفس الوقت أقرّوا كل ما فيه خير الناس وصلاحهم ، وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه التشريع في ذلك العهد .

الانتاج

لكل إنسان أن ينتج ما يريد ، ويعمل ما يشاء ، أن يختار التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو أية مهنة أخرى ما دام لم يترك واجباً ولم يفعل محرماً ، ومتى تعدى حدود الله ، كما لو احتكر أو رابى أو غش أو تجاوز الآداب العامة ، أو أضر بغيره ضرب الإسلام على يده ، وأوقفه عند حده . ان توجيه الدولة للإنتاج ، وتدخلها في جميع الأعمال لصالح الجميع يتوقف على أشياء أهمها القدرة على القضاء على الاستغلال ، ولم يكن هذا ممكناً في عهد التشريع الإسلامي ، ومن هنا يتبين خطأ الذين حاولوا أن يجعلوا بين الشريعة الإسلامية وبين الاشتراكية صلة ونسباً ، ان النظرية

الاشتراكية ترى ضرورة التدخل في جميع الاعمال ، وهي لقاء ذلك تضمن العمل لكل قادر عليه ، والعيش للعاجز عنه ، أما الاسلام فيترك الخيار للانسان أن ينتج ما يشاء على شريطة أن لا يحلل حراماً او يحرم حلالاً ، ووضع ضريبة على انتاجه ، وأهل البيت يقسمون هذه الضريبة الى قسمين : زكاة ، وخمس ، ولذا أفرد فقهاء الامامية لكل واحد منهما باباً مستقلاً في كتب الفقه .

الزكاة

تكلم الفقهاء الامامية عن نوع الزكاة ومقدارها ونصابها وجبايتها ومصرفها ، وأجبوها في تسعة أشياء : في النقدين الذهب والفضة ، وفي الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وفي الابل والبقر والغنم ، ولا تجب فيما عدا ذلك كالأرز والذرة والعدس والمماش ونحوه ، ولا في الفواكه ولا الخضار ، ولا في الخيل والبغال والحمير ، ولا في العملة اذا كانت ورقاً ، وإنما ينظر فاذا فضل منها شيء عن مؤنة السنة فيؤخذ من الفاضل الخمس ٢٠ بالمئة ، وإن لم يفضل عن المؤنة شيء فلا خمس ولا زكاة .

« النصاب » : لا تجب الزكاة في الذهب حتى يبلغ عشرين

ديناراً ، وفيها نصف دينار ، وكلما زادت أربعة عن العشرين
ففيها عشر الدينار ، ولا تجب في الفضة حتى تبلغ مائتي درهم
وفيها خمسة دراهم ، وكلما زادت أربعين درهماً ففيها درهم
واحد ، وكل عشرة دراهم تساوي ديناراً ، والدينار يساوي
نصف ليرة ذهبية — تقريباً — ، على شريطة أن تكون عملة
مسكوكة ، وان يمضي عليها حول عند صاحبها ، ونصاب الفلات
الأربعة الحنطة والشعير والتمر والزبيب ثمان مئة وثمانون كيلو
— على التقريب — ولا تجب فيما دون ذلك ، وما يسقى بماء
المطر والسيح ، أي بدون مشقة ففيه العشر ، عشرة بالمئة ، وما
يسقى بالدلو ونحوه ففيه نصف العشر خمسة بالمئة ، وعن كل
خمس من الأبل شاة ، وعن العشر شاتان ، وعن الخمس عشرة
ثلاث شياه ، وعن العشرين أربع ، وعن الخمس والعشرين
خمس شياه ، وإذا بلغت ستاً وعشرين صارت نصاباً واحداً ، وفيها
بنت مخاض « ناقة بنت سنة أو أقل » وليس دون الخمس شيء ،
ونصاب البقر ثلاثون ، وفيها تبع « ابن سنة إلى سنتين » وأربعون
وفيها مسنة « ابن سنتين إلى ثلاث » . ونصاب الغنم أربعون
وفيها شاة ، ثم مئة واحد وعشرون وفيها شاتان ، ثم مئتان
وواحدة وفيها ثلاث شياه ، ثم ثلاث مئة وفيها أربع شياه ، ثم

مئة ففي كل مئة شاة ، بالغة ما بلغت ، والشرط في زكاة الأنعام أن تبقى حولاً عند صاحبها ، وإن تكون سائمة ، أي ترعى في المرعى الطبيعي ، وأن لا تكون عوامل طول الحول ، فلو أستعملها المالك أثناء الحول في بعض مصالحه فلا زكاة فيها .

وأجاز أهل البيت لمن وجبت عليه الزكاة أن يصرفها بنفسه على وجوهها ، ولو قال أخرجتها ، أخذ بقوله بلا بينة ولا يمين ، فقد جاء في نهج البلاغة أن الإمام (ع) كان يأمر من يستعمله على الصدقة أن يسلم على أهل الحي ، ويقول لهم « يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ، فإن قال قائل لا فلا تراجع » . أما الكلام عن الخمس فنكتفي بما قدمناه عند الكلام عن خصائص أهل البيت ، ويدخل في باب الخمس أرباح التجارة ، وحكمها أن يخرج منها مؤونة سنة كاملة للتاجر وعياله وضيوفه ، وما زاد ففيه عشرون بالمئة .

هذه إشارة موجزة إلى الزكاة ، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة المجلد الثالث من كتاب الجواهر والسادس من مستمسك العروة الوثقى .

من احتجاجات أهل البيت

•

لأهل البيت (ع) احتجاجات في أصول الدين وفروعه ،
وقد جمع الكثير منها أحمد بن علي الطبرسي في كتاب خاص
يُعرف باحتجاج الطبرسي ، أما طريقتهم في الاحتجاج فقد بينها
الامام الصادق (ع) بحديث نشرحه للتوضيح بما يلي :

إن الجدل يكون بالتي هي أحسن ، ويكون بغير الأحسن
— مثلاً — اذا ادعى انسان غير الحق ، ولم يأت بدليل ، وقلتَ
له : أنت مبطل في دعواك فقد جادلته بغير الأحسن ، على الرغم
من أنه مبطل ، أما الجدل بالأحسن فهو أن تسأله برفق عن
الدليل ، كما علمتم الله نبيه ﷺ بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين » جواباً للذين ادعوا افتراء « وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هوداً أو نصارى » . وروي أن الامام كان يبين بعض
الحقائق ، فقال له بعض من حضر : ليس الأمر كما قلت يا أبا

الحسن ، فقال الامام : قل حتى نسمع ، فان كان حقاً أخذنا بمقالتك . واذا ادعى المبطل غير الحق ، وأتى بالدليل فعليك أن تنظر الى دليله فان كان باطلاً بذاته بينت وجه البطلان بالتي هي احسن ، وإن كان صحيحاً بذاته باطلاً من حيث الدلالة ، كما لو استدل بحديث صحيح ، ولكنه قاصر الدلالة على مدعاه فعليك أن تسلم بأصل الدليل ، وتبطل وجه الدلالة ، وكثيراً ما يعجز المحق عن إبطال الدلالة ، ولا يدري كيف التخلص ، فيجحد أصل الدليل مع أنه حق ، مخافة أن تلزمه الحجة ، أي يدفع الباطل بجحود الحق ، وبهذا يكون هو والمبطل سواء ، بل اسوأ أثراً ، حيث جعل للمبطل عليه الحجة ، ومهد السبيل لدعاية التضليل ، وتغريب الضعفاء ، وانخداعهم بنوي الضلالة والفساد .

وقد وصف الامام (ع) مضار الجاهل الذي يتصدى للحكم وحيرته ومحاولته إخفاء جهله ، وصفه بأدق الأوصاف وأبلغها قال : لا يدري أصاب أم أخطأ ، فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب ... لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره ، وإن أظلم أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء ، وتعج منه المواريث .

تجد هذه الصورة واضحة جلية فيمن يقول على غير قياس ،
ويبنى على غير أساس ، يحدس فيحكم ، ولكنه يشعر بجهله بينه
وبين نفسه ، فيتظاهر بالمعرفة ليغطي النقص ، وهو خائف حتى لو
أصاب ، لأنه لم يركن الى حجة ، وفي نفس الوقت يأمل ان
يصادف قوله الواقع فيطمئن الى خطئه ، على العكس من العالم
الواقعي بعلمه المطمئن الى رأيه لا يبالي بقول من قال ما دام معتصماً
بالحجة البالغة ، والدليل القاطع ، ولا يصدر هذا القول الا عن
حكيم خبير ، يعرف الحق والواقع ، ويعمل بما يعلم .

ذكر الطبرسي في كتابه طرفاً من احتجاجات النبي ﷺ
والأئمة الاثني عشر (ع) وبعض أقاربهم من بني هاشم ومحبيهم
من الشيعة ، منها :

الاحتجاج بالقراءة

لما بويع أبو بكر بالخلافة بعد الرسول ، ودعا الامام للبيعة
قال : أنا أحق بهذا الأمر ، أخذتموه من الأنصار ، واحتججتم
عليهم بالقراءة من الرسول ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ،
ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى منهم لمكانكم من رسول الله ﷺ ،
فأعطوكم المقادة ، وسلموا لكم الامارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل

ما احتججتم على الانصار ، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً ، أنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه .

وفي نهج البلاغة : واعجابه أ تكون الخلافة بالصحابة والقراة!

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

الكلام والسكوت

سئل الامام زين العابدين (ع) عن الكلام والسكوت أيهما افضل ؟

فقال : لكل واحد منهما آفات ، فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت ، لأن الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت ، وإنما بعثهم بالكلام ، ولا استحققت الجنة ، ولا استوجبت ولاية الله ، ولا توقيت النار ولا تجنب سخط الله بالسكوت ، انما ذلك كله بالكلام ... ولست تصف فضل الكلام بالسكوت .

نجونا وهلكت

قال ابن أبي العوجا للامام الصادق (ع) : ليس وراء هذا الكون شيء فقال له الامام: إن يكن الأمر كما تقول نجونا نحن وأنت ، وإن يكن كما نقول نجونا ، وهلكت ، ونظم المعري هذا المعنى :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجسام قلت إلكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالحسار عليكما

المعصية من العبد

سئل الامام موسى الكاظم (ع) عن المعصية هل هي من الله او العبد؟ فقال : لا تخلو من ثلاث ، إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء . فليس للحاكم أن يأخذ عبده بما لم يفعل ، وإما أن تكون من العبد ومن الله أقوى الشريكين ، فليس للشريك الأقوى أن يأخذ الأصغر بذنب هما فيه سواء ، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، إن شاء عفا وإن شاء عاقب وهو المتعين ، ونظم بعض الشعراء هذا المعنى :

لم تخل أفعالنا اللاتي ندم بها
أحدى ثلاث معانٍ حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها
فيسقط اللوم عنا حين ننشئها
او كان يشركنا فيها فيلحقه
ما سوف يلحقنا من لائم فيها
او لم يكن لالهـي في جنائتها
ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها

علي والغـلاة

قيل للامام علي بن موسى الرضا (ع) : إن جماعة يزعمون
أن جدك علياً إله فارتعدت فرائضه وتصيب عرقاً ، وقال : سبحان
الله عما يقول الظالمون والكافرون ، وتعالى علواً كبيراً ! أوليس
علي كان آكلآ في الآكلين ، وشاربآ في الشاربين ، وناكحآ في
الناكحين ، ومحدثآ في المحدثين ، وكان مع ذلك مصلياً خاضعآ
بين يدي الله ذليلاً أوآها منيبآ ، فان كان هذا ، فليس احد منكم
الا وهو إله ، لمشاركه له في هذه الصفات الدالة على حدوث
كل موصوف بها .

معاوية ومناقب علي

قال معاوية لابن عباس : قد كتبنا الى الآفاق ننهي عن ذكر
مناقب علي فكف لسانك .

فقال ابن عباس : أتنهانا يا معاوية عن قراءة القرآن !

قال معاوية : لا

قال ابن عباس : أتنهانا عن تأويله ، أي تفسيره .

قال معاوية : نعم

قال ابن عباس : أنقرأه ولا نسأل عما أراد الله بكلامه !

وأيهما أوجب علينا قراءة القرآن أو العمل به !

قال معاوية : العمل به .

قال ابن عباس : كيف نعمل به ، ونحن لا نعلم ما عني الله !

قال معاوية : سل عن تفسيره غيرك وغير أهل بيتك .

قال ابن عباس : نزل القرآن على أهل بيتي ، فنسأل عنه آل

أبي سفيان ! أتنهانا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من

حلال وحرام . ان الأمة إذا لم تسأل عن القرآن وتعمل به تهلك .

قال معاوية : أقرأوا القرآن وفسروه ، ولكن لا ترووا شيئاً

مما أنزله الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال ابن عباس : ان الله يقول « يريدون أن يطفئوا نور الله

بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
قال معاوية : يا ابن عباس إربع على نفسك ، وكف لسانك ،
وان كنت لا بد فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية ،
ثم رجع معاوية الى بيته ، وبعث الى ابن عباس بمئة ألف درهم
ونادى مناديه أن برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي
وأهل بيته .

على هذا الاساس ، أساس المال والسيف أقام معاوية ملكه ،
ومن هنا قال الذين يدينون بمبدأ معاوية : انه أدهى وأعرف
بالسياسة من الامام (ع) ويظهر أن هذا قول قديم قيل في عهد
الامام وسمعه ، ولذا قال : والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه
يفغر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى العرب .
وأى إنسان يؤمن بالحق والعدالة ثم يرضى بملك الدنيا
وما فيها عن طريق الظلم والغدر فضلاً عن امام معصوم كعلي بن
أبي طالب ، دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية ، وهو معروف
بانحرافه عن علي ، فقال : السلام عليك ايها الملك ، فضحك معاوية
وقال : ما كان عليك لو قلت يا أمير المؤمنين ، فقال سعد :
أتقولها جذلان ضاحكاً ، والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به .

حب المال

•

لو أراد أهل البيت الثروة لسعت اليهم دون أن يسعوا اليها، فقد كان شيعتهم منتشرين في عهد الأئمة (ع) في بلاد العرب والعجم، وما من شيعي يملك كثيراً او قليلاً من المال الا يعتقد أن للامام فيه الخمس حقاً مفروضاً في كتاب الله وسنة نبيه، هذا إلى ان ما من خليفة او سلطان او وزير او أمير الا يود أن يشتري رضاهم وسكوتهم بكل ثمين، وقد استفاد كثيرون من الصحابة أموالاً طائلة لا لسبب سوى اسم الصحبة، روى المؤرخون: انه كان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومئة الف دينار والـ الف درهم، وقيمة ضياعه مئة الف دينار، خلف إبلا وخيلا كثيرة. وبلغ الثمن من متروك الزبير خمسين الف دينار، وخلف الف فرس وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة اكثر من ذلك. وكان

على مرتبط عبد الرحمن الف فرس ، وله الف بعير ، وعشرة
آلاف من الغنم . وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما
يكسر بالفؤوس .

هذا في حين ان امير المؤمنين ، وهو من اخص الاصحاب
بالرسول وأفضلهم ، قد باع سيفه ، وقال : لو كان عندي عشاء ما
بعته . ان عليا لا يتنكر لمبدأه ، ولا يناقض نفسه بنفسه ، قاتل مع
الرسول اهل الثراء على شركهم وراثتهم ، فكيف يفعل اليوم ما
أنكره بالأمس ، كما فعل بعض الاصحاب .

ان اهل البيت ينظرون الى المال على انه وسيلة لا غاية ،
وسبيل الى سد حاجة لا تقضى بدونه ، فما ادى الى الواجب فهو
خير وصلاح ، وما زاد عنه فهو شر وفساد .

قال رجل للامام جعفر الصادق : إنا لنحب الدنيا .
قال : تصنع بها ماذا ؟

قال : أتزوج منها ، وأحج ، وانفق على عيالي ؛ واني
اخواني ، واتصدق .

قال : ليس هذا من الدنيا ، هذا من الآخرة .

إن طلب الدنيا سداً لحاجاتها المادية والروحية طلب لحياة
البقاء والنعيم ، وطلبها ابتغاء علو او فساد في الارض طلب لحياة

الفناء والجحيم .

فالمال ، اذن ، وسيلة لغيره ، لا غاية في نفسه ؛ يكون طيباً ، اذا حقق العدالة والمساواة ، ورفع حياة المجتمع الى مستوى اعلى ، ويكون خبيثاً ، اذا ادى الى الظلم والظغيان ، وعاق الحياة عن التقدم والتطور .

اما الفقر فهو كالظلم والاعانة على الاثم خبيث بذاته لا يكون طيباً بحال من الاحوال ، لأنه مصدر المرض والجهل ، قال الرسول الاعظم ﷺ : الفقر هو الموت الاكبر ، وقال الامام لولده محمد بن الحنفية : يا بني اني اخاف عليك الفقر ، فاستعد بالله منه ، فان الفقر منقصة للدين ، مدهشة للعقل ، داعية للمقت ، وقال : الغنى في الغربه وطن ، والفقر في الوطن غربه .. كاد الفقر ان يكون كفراً ، فكيف يرضى به العادل الحكيم لمخلوق ! ان الله سبحانه يريد لعباده القوة والكرامة ، ولا يريد لهم الضعف والهوان . وبامكاننا ان نتصور التفاوت والتفاضل بين الناس في الرزق ، وما يزيد عن قدر الحاجة لسبب معقول عند الله والعدالة فيرزق هذا عشرة ، وذاك ألف ، اما التفاوت في اصل الرزق والعيش فيأخذ هذا مئات الملايين ، ويحرم الألوف من قوت يومهم فقضاء الله وعدله بريثان من هذا الظلم والاجحاف .

وبعد هذا نستمع الى بعض الاحاديث المنسوبة الى الرسول
الأعظم في فضل الفقر ، ففي كتاب إحياء العلوم للغزالي باب
الفقر عن النبي أنه قال : « إذا احب الله عبداً احب البالغ لم
يترك له أهلاً وولداً » ولو صح هذا الحديث لكان علينا ، اذا
حرصنا على طاعة الله ومرضاته ، أن نبتهل إليه ، ونسأله ان يهلك
الحرت والنسل ، ويسلط علينا الفقر والمرض . أبهذا الحديث
وأمثاله دعا النبي الى الاسلام ! وأقنع الناس بصدقه ورسالته ،
ودخلوا في دين الله أفواجا ! لقد كان النبي والانبياء من قبله ،
والأولياء من بعده يستعينون بالله من الفقر . من بلاء الدنيا
والآخرة قال احد الأصحاب المقربين الى الرسول : اللهم إني
أسألك الصبر ، فقال له الرسول : لقد سألت الله البلاء ، فأسأله
العافية .

اراد ولاية الحكم ان يدوم لهم النفوذ والسيطرة ، والظلم
والطغيان فأوعزوا الى اذئابهم الخونة ان يضعوا أحاديث يصوغون
للناس منها قيوداً واغلالاً تساعد على استعباد الاحرار ،
واستغلال الجماهير ، فلفقوا أحاديث على لسان الانبياء مرغبين
في الخنوع والخضوع ، والخدمة والاستسلام .
وقد روى الرواة عن الرسول انه قال : خير الامة فقراؤها .

الفقراء احباء الله، وجلساؤه يوم القيامة. اطلبوا الله عند الفقراء، ان الله يستحي من سؤال الفقير وحسابه، ان اكثر اهل الجنة الفقراء، واكثر اهل النار الاغنياء، الى ما هنالك من الاحاديث الدالة على ان الفقراء — وهم الأكثرية الغالبة — اطيب العناصر واقربها الى الحق، وابعدا عن الباطل.

كان الفقراء، وما زالوا القوة والعدة في يد كل مصلح يريد الخير والنفع لأمة، فيهم انتصر محمد ﷺ على الظلم والشرك، ومنهم حواريو السيد المسيح عليه السلام، ولولاهم لما تحررت الشعوب من طغاة الاستعمار، ولما عمل بحق من حقوق الانسان، اما المترفون الذين لا يتورعون عن الحرام فهم اعداء الانبياء والانسانية، وحجر عثرة في سبيل كل تقدم واصلاح قال الله سبحانه « وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا بما ارسلتم به كافرون » كفروا بالعدالة والحرية ؛ وآمنوا بالسلب والنهب، بكسب المال من غير حل، وانفاقه في غير حل، بكسبه من الغش والتدليس والاحتكار، وتبذيره على الفسق والفجور. واذا كان الغنى او الافراط فيه يبعث على الطغيان فان الفقر يضعف المرء عن القيام بالواجب والخير كل الخير عند اهل البيت أن يكون للانسان رزق حلال يكفيه، لا غنى يطغيه، ولا فقر

يشقى به ، وكان الامام يقول في دعائه : « اسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما ابقيتني معيشة اقوى بها على طاعتك ، وابلغ بها رضوانك واصير بها الى دار الحيوان ، وارزقني رزقاً حلالاً يكفيني ، ولا ترزقني رزقاً يطغيني ، ولا تبتلني بفقر اشقى به » .

وقال الامام الصادق : ان النبي ﷺ قال: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ... أَللّهُم ارزق محمد وآل محمد ومن أحب محمداً وآل محمد العفاف والكفاف .

وصل الى أيدي أهل البيت أموال طائلة فوزعوها على المعوزين ، وابقوا منها لأنفسهم الكفاف ، كانت غلة الامام أربعين ألف دينار جعلها كلها صدقة ، مر ذات يوم على جماعة من قریش ، وعليه قميص مخرق ، فسمعهم يقولون : أصبح علي ولا مال له فأرسل الى وكيله على املاكه ان لا يوزع من الناتج شيئاً كما كان يفعل ، وان يبيعه بكامله ويرسل اليه الثمن ، ولما اجتمعت عنده الاموال بعث الى رجل رجل منهم يدعوه ، ولما حضروا ضرب المال برجله فانتشر هنا وهناك ، فقالوا : ما هذا يا أبا الحسن ؟ قال: هذا مال من لا مال له ، ثم أمر وكيله أن يوصل المال الى من كان يصلهم به .

وسمع الحسن رجلاً يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف

درهم ، فذهب الى منزله وبعث بها اليه ، وكان معاوية يرسل الى الحسين مليون درهم في كل سنة فيأخذها ويوزعها على الأرملة واليتام الذين قتل معاوية أبائهم في صفين ، ويعيش هو عيش الكفاف ، وكان الامام زين العابدين يعول مئة بيت ، ولما مات قال اهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات زين العابدين ، وكان الامام الباقر يطعم الناس ويكسوهم ويوزع الاموال من خمس مئة الى الف لكل انسان ، وكان الامام الصادق يطعم الناس ولا يبقى لعياله شيئاً ، وكان الامام الكاظم يعول اكثر من خمس مئة نفس .

وكلمات أهل البيت في ذم الحرص والتكالب اكثر من ان تحصى ، وكلها تدور حول محور واحد ، هو ان ليس للانسان أي انسان من هذه الحياة الا ما يكسبه من حلال . ويظهر من بعض أحاديثهم الحث على الزهد وترك هذه الدنيا الفانية ، وانها لا تستأهل الاهتمام والعناية ، ولكن هذه الاحاديث تهدف بحقيقتها الى النهي عن طلب الزيادة عن مقدار الحاجة ، وعن كل سبيل تؤدي الى البغي والظلم والحرام ، قال الامام الباقر : ما ذئبان ضاريان في غنم ، ليس لها راع ، هذا في اولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب

المال . يشير الى الفوضى تترتب على النظام الجائر الفاسد يتيح
الفرصة الى الغش والاستثمار .

وإليك هذه الصورة الرائعة جاءت على لسان ابن عباس قال :
إن أول درهم ضرب في الأرض تناوله ابليس وقبله ومسح به
عينيه ووجهه وقلبه ، وقال له : بأبي أنت وأمي يا قرّة العين وثمرة
الفؤاد ، إني لا أريد من ابن آدم بعد اليوم أن يعبد صنماً ،
حسي حسي أن يعبدك ، بك أغوي وأفسد ، وبك أظلم وأجور ،
وبك أدخل النار معي من أريد .

فرق واضح بين من يؤله المال وبين من يتخذه وسيلة للوقاية من
الأخطار وعوارض الحياة ، إن عباد المال أكثر فساداً وأسوأ أثراً
من عباد الأوثان ، فضرر هؤلاء يختص بهم وحدهم ، ولا يتعدى
الى غيرهم ، إما أولئك فضررهم يعم الناس اجمعين ، ويبقى
أجيالاً . ومجمل القول ان أهل البيت يعبرون عن الموضوع الواحد
بأساليب تختلف باختلاف المناسبات ، فاذا أردنا أن نعرف رأيهم
في شيء فعلينا أن نحيط بجميع أقوالهم المتعلقة به ، والا كنا
كمن يكفر ببعض ويؤمن ببعض ، ومن الأمثلة على أن
كلامهم يفسر بعضه بعضاً قول الامام الصادق : من أحبنا أهل
البيت فليعد للفقر جلباباً . نجد تفسيره في قول الصادق : ليس

لخالص شيعتنا في دواة الباطل الا القوت ، أي ضيق العيش ، لأن
السلطان يطاردهم ويسد عليهم مسالك الحياة ، فيصبحون من
الفقراء والمعوزين ، ولو أخذنا بظاهر الكلام الأول وفسرناه
مستقلاً كان أقبح ذم لعقيدة التشيع ، حيث يكون المعنى أن
التشيع بذاته وطبعه يستتبع الفقر الذي هو الموت والكفر . حاشا
الحق وأهله .

وبالتالي فإن طلب المال في نظر أهل البيت يكون حسناً ،
ويكون قبيحاً ، لأنه مقدمة لغيره ، وليس بغاية في نفسه ، فإن
أدى حتماً الى الحرام فهو قبيح مذموم ، وإن كان مقدمة لواجب
فحسن مشكور .

الاسلام والاقتصاد

•

لم يكن الاقتصاد قبل القرن الثامن عشر علماً مستقلاً ، ولم تعالج مسائله معالجة علمية ، كما هي الحال اليوم حيث يتحدث علماء الاقتصاد عن موارد الأمة ونفقاتها ، عما ينتج الناس ويستهلكون .

وُجد الاقتصاد منذ وُجد الانسان ، أو منذ وجدت الحياة الحقيقية للانسان ، وإن له واقعاً صارماً لا يمكن تجاهله بحال ، ولكن النظام الشامل للاقتصاد لم يوجد قبل آدم سميث « ١٧٢٣ - ١٧٩٠ » الذي يعتبر — على ما قيل — المؤسس الاول لهذا العلم . دعت الاديان الى العدالة والرحمة ، وأمرت بالاخاء والمساواة ، نهت عن الظلم والجشع وحب المال ، ولكن هذا شيء وعلم الاقتصاد شيء آخر ، فلقد ورد في مطاوي كلمات المؤرخين والفلاسفة والساسة والمشرعين آراء عن العلاقات الاقتصادية

بين الناس ، وبينهم وبين الدولة ، ولكن واحداً من هؤلاء لم يذكر رأيه بوصفه مذهباً اقتصادياً ، بل ذكره بوصفه جزءاً من التاريخ أو الاخلاق أو التشريع ، فقد حوى التشريع ، وبخاصة مجموعات القوانين الحديثة ، حوت مواداً تتصل بالزراعة والصناعة والجمارك والتجارة ، وما إلى ذلك من أسباب الثروة كما حوت مواداً تتعلق بالبناء والطب والصيدلة ، وليس معنى هذا ان التشريع يحوي هذه العلوم بكاملها ، وان من درسه يصير عالماً بالزراعة ، وعالماً بالتجارة ، ومهندساً ، وطبيباً وصيدلياً .

بعد هذا التمهيد نتقل بالكلام الى الاسلام والاقتصاد .
ليس في علوم الاسلام علم يسمى علم الاقتصاد ، لما قدمنا من أن هذا العلم لم يُعرف قبل القرن الثامن عشر ، وانما للاسلام شريعة تخصص لها آلاف العقول ، وتأسست لدراستها عشرات الجامعات قديماً وحديثاً ، منها في عصرنا هذا جامعة الأزهر في مصر ، وجامعة جامع الزيتونة في تونس ، وجامعة النجف في العراق ، وجامعة قم في ايران ، كما أن في كثير من جامعات الحقوق الحديثة فرعاً خاصاً بدراسة الشريعة الاسلامية .

وأبواب هذه الشريعة تنقسم إلى اقسام .

الأول: لا يتصل بالمال من قريب او بعيد ، كالوضوء والغسل

والتيمم والصوم والصلاة والعقوبات الأدبية .

الثاني : لم يقصد منه المال ابتداء ، ولكن يستتبعه بالواسطة كاللحج ، والسبق والرماية ^(١) .

الثالث : ما يقصد منه المال بالذات ، كالزكاة والتجارة والاجارة والشركة والدين والرهن والجعالة ، والمزارعة والمساقاة واحياء الموات والارث ، وأسباب التغيريم والضمان والوقف وأكثر مسائل الوكالة والوصاية والحجز .

الرابع : يتعلق بالسياسة كاختيار الحاكم والموظفين ، وإقامة الحدود وفصل الخصومات .

وينحصر كلامنا في ما يدخل في باب الأموال ، وهو القسم الثالث ، ومنه الزكاة ، وهي أشبه بضريبة الدخل ، يجب على الاغنياء أن يؤدوها من أموالهم وفاء لحق الله عليهم ، ويؤيد أنها ضريبة ، لسان ما جاء في القرآن الكريم « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم .. في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ومثلها أو

(١) سبق ان يتراهن اثنان او اكثر على اجراء الخيل ، وما شابهها في حلبة السباق ، لمعرفة الفرس الاجود ، والفارس الامهر ، والرماية مراهنسة على المناضلة بالسهم ، لمعرفة الخاذق بمواقع الرمي ، على ان يكون للسابق والرامي المصيب عوض معلوم ، والفائدة المقصودة من تشريع سبق والرماية هي التمرين على النضال ، والاستعداد للقتال ، اما المال فوسيلة لترغيب .

قريب منها الجزية ، والمال الذي يصالح عليه عدو المسلمين ، وما يؤخذ من التجار غير المسلمين^(١) ، وسائر الأموال التي تدخل بيت المال .

أما التجارة والاجارة ، وما الى ذلك فتكلم عنها فقهاء الاسلام من الوجهة التشريعية، وراعوا إرادة الطرفين ، وحافظوا على كل واحد منهما ، واعتبروا العقد الصحيح شريعة المتعاقدين كانت المعاملات بين الناس قبل ان يكون الاسلام ، وكان فيها كثير من الشوائب والمحاباة ، ولما جاء الاسلام هذبها وطورها ، فقلّم وطعم ، وربطها جميعاً بالدين والاخلاق ، بالحق والعدل ، أقر الاسلام الأسباب الاربعة للملك : الارث والبيع والهبة واحياء الارض الموات . أقر الملك ونهى عن الاحتكار ، وأحل البيع وحرم الربا ، وجعل الحق في حيازة الأرض لمن سبق إلى إحياؤها ، شريطة أن لا يضر بصالح الجماعة ، وأوجب وفاء الدين ، ورد الوديعة والغارية ، وغرم الغاصب والسارق والمفرط ، وأين هذا من علم الاقتصاد ! . انه فتمه وتشريع ليس غير ، والفقه

(١) قال العلامة الحلي في كتاب التذكرة : اذا حمل غير المسلم وغير الذمي مالا للتجارة والربح الى بلاد المسلمين فرضت عليه ضريبة عشرة بالمائة بدلا من ارباحه من المسلمين .

الاسلامي كامل شامل لجميع نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو يرتكز على مبادئ تنفي عنه الظلم والعدوان، وهذا وحده كاف لأن يضمن له البقاء والنمو على مدى الازمان، ولكن لا مجال ان نفسره بجملته على أساس مذهب اقتصادي حديث ، لان للفقه الاسلامي ذاتيته المستقلة ومميزاته الخاصة ، أما اتفاق بعض مسائله مع الاشتراكية ، وبعضها الآخر مع الرأسمالية فلا يخرجهم عن طبيعته واستقلاله ولا يجعله اشتراكياً ولا رأسمالياً ، بل ان فقهاء الاسلام قد يعتبرون الشيء الواحد ملكاً عاماً بلحاظ ، وملكاً خاصاً بلحاظ آخر كالارض ، حيث قالوا : اذا أخذ المسلمون أرضاً من غيرهم بالقهر والغلبة فهي لكافة المسلمين من دون تفاضل بين من قاتل ، وبين من لم يقاتل، ومن وجد ومن سيوجد واذا أسلم أهل الارض طوعاً فهي ملك لمن في يده يتصرف بها كيف شاء ، وهذا التفصيل لا يتفق مع الاشتراكية ولا مع الرأسمالية .

وقسم النبي وعلي وأبو بكر العطاء بين المسلمين بالسوية ، وفضل عمر بعضهم على بعض ، فهل لقائل ان يقول بأن النبي وعلياً وأبا بكر كانوا شيوعيين ، وكان عمر غير شيوعي .

من عادتي أن امر كل يوم على ثلاث مكبات ، مكتبة
الأرز ومكتبة هاشم ، ومكتبة الاندلس ، وقد ترك لي أصحابها
حرية التصرف ، فأستعرض الكتب وأقلبها ، وارفع وأضع فان
رأيت كتاباً يبحث في موضوع يهمني أخذته معي الى البيت ، فان
أعجبني أبقيته ، ودفعت لصاحب المكتبة ثمنه ، والا أرجعته الى
مكانه وكانت تشير اتباهي واهتمامي الكتب التي تبحث عن
الامور الاقتصادية في الاسلام ، كنت اقرأها بامعان ، ولكن
لم أر فيها غير احاديث وكلمات مأثورة مثل قول الرسول ﷺ :
« ما يسرني ان لي مثل احد انفق في سبيل الله ، اموت واترك
منه قيراطين » وقول الامام علي بن ابي طالب (ع) : « ما جاع
فقر الا بما متع به غني » وقول ابي ذر : « اذا ذهب الفقر الى
بلد قال الكفر خذني معك » وفتوى ابن حزم : « اذا مات رجل
جوعاً في بلد اعتبر اهل البلد قتلة له ، واخذت منهم دية
القتيل » وما الى ذلك من الاقوال والاحكام التي تنم عن
النزعة الانسانية في الشريعة الاسلامية ، وقد حاول اولئك
الغيبورون ان يستتجوا من هذه النزعة نظاماً اقتصادياً للإسلام
يتفق مع احد المذاهب الاقتصادية المعروفة اليوم . وقدمنا

أن الرحمة والانسانية شيء ، وعلم الاقتصاد شيء آخر .
وبالتالي فنحن نقدر ونشكر من كتب ، ومن سيكتب عن
الاقتصاد في الاسلام ، و تتمنى ان ينظر اليه من خلال قوله
تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » لا من خلال مذهب من
المذاهب الاقتصادية الحديثة .

لا عمل بعد اليوم

•

ان الذين رصدوا خطوات الحياة منذ درج الانسان على وجه الارض ، واستعرضوا الماضي يدركون ان جيلنا هذا لم يستقل بخلق المدنية الحديثة وايجادها ، وانما هي نتيجة لازمة لاطراد تقدم الانسان ورقيه على سلم التصاعد منذ وجد حتى الآن ، فالسلف شريك الخلف في كل ما تحويه المدنية من أفانين وأعاجيب . إن حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر هي وراثه الثاني للأول ، في جميع أشياء المادية والمعنوية ، إن حياة الانسان من بدايتها إلى نهايتها بناية واحدة ، وكل عصر هو حجر في بنائها ، إذن نحن نعيش بالماضي والحاضر معاً ، كما ستعيش الأجيال المقبلة بنا وبالمستقبل .

لمن هذه الأنظمة والقوانين التي تركز عليها السياسة ؟ ومتى نشأت هذه الأديان التي شيدت لها المعابد والمعاهد ، ونبتت

بذورها وأينعت في كل قلب حتى سirt الأمم والأفراد في
مسالكها الخاصة والعامة ؟ وأين أرباب هذه الألوف من
الكتب التي فرضت نفسها على الكليات والجامعات ؟ أما منشأ
اللغات وتطورها فعلمها عند ربي ، فأني مادة تقع عليها العين
نجت من يد الماضي ! وأي روح لم تسترشد بحكمته وتهتدبسنائه !
وكم حوت كنوز آباءنا العرب من جواهر الحكمة فأضاعها
ورائها الأقربون وانتفع بها الأبعد الغاصبون ، واتخذوا من
من ثمارها وسيلة إلى الكبرياء والتعظيم علينا وهي لنا ومن ميراثنا
الذي ذهلنا عنه حتى أصبح فريسة الذئاب .

قرأت في مجلة المختار كلمة بعنوان « أطع هذا الحافر »
للدكتور وليم مولتون ، وهي على طولها وعرضها تلخص بجملة
نطق بها أحد أبطال الطف الذين ناصروا الحسين بن علي ، وهو
عابس بن أبي شبيب البطل العربي ، قالها عندما رأى السيوف
والرماح والسهام والأحجار تنهال وتتراكم على الحسين وأهل بيته
وأصحابه ، فأجج هذا المنظر في نفسه شعلة جعلت الدماء تشب
في عروقه كاللهيب المضطرم ، وخيل إليه أن السماء والأرض قد
استحالتا إلى دخان ورماد ، فنظر إلى مولى كان معه يدعى شوذبا ،
وناداه يا شوذب ما في نفسك أن تصنع اليوم ، قال شوذب :

أقاتل حتى أقتل دون ابن رسول الله ، قال عابس ذلك الظن بك — إنه لا عمل بعد اليوم — حكمة بالغة ليس كمثله شيء إلا العمل بها ، ولو قالها غربي لقرأتها في كل صحيفة وسمعتها من كل لسان ، ولكنه منا وعربي مثلنا .

وصدق شوذب القول بالفعل فقاتل حتى قتل ، وماذا فعل عابس الذي نطق بهذه الحكمة الخالدة — لا عمل بعد اليوم — تقدم من الحسين وقال . أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب أو بعيد أحبّ عليّ منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك القتل بشيء اعزّ عليّ من نفسي لفعلت ، ثم مضى إلى المعركة فعرّفه رجل من اصحاب ابن سعد يُدعى ربيع بن تميم وكان شاهده مع الامام علي في صفين ورأى منه الأعاجيب ، فصاح ربيع بأصحابه : أيها الناس هذا اسد الاسود لا يخرجن إليه احد ، فأخذ عابس ينادي ألا رجل فها به القوم ، فنادى ابن سعد ويلكم ارضخوه بالحجارة فانها لت عليه من كل جانب ، فلما رأى عابس ذلك ألقي درعه ومغفره وشدّ عليهم ، قال ربيع رأيت والله يطرد أمامه اكثر من مائتين ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه ، واختصم الجيش في قتله وأدعاه الجميع ، فأصلح ابن سعد بينهم بقوله : هذا لم يقتله واحد كلكم قاتله ، فهذات الفتنة .

قتل عابس وضحي بنفسه في سبيل مبدئه وإحياء عقيدته ،
ومات شهيد الحق والفضيلة ، وبلغ بعمل ساعة ما لم يبلغه غيره
بعمل الدهر كله ، وحاول ابن سعد أن يصرع الاقمار بالاحجار
فهوت على رأسه وقلبه ، ترجمه بها يد التاريخ ما وجد له قارئاً
أو سامعاً .

إن نداء — لا عمل بعد اليوم — هو الشعار الوحيد الذي
يعبر عن مبدأ شهداء الطف وعقيدتهم التي من أجلها نصبوا مهجهم
هدفاً للسهام والرماح دون الحسين ، وهل تجدي الاعمال كلها
بعد قتل الحسين ! اذن العمل كله في هذا اليوم بل في هذه اللحظة
التي ما زال الحسين فيها حياً .

وقد ندم التوابون بعد قتل الحسين على تركهم نصرته ،
فنهضوا وثاروا وقتلوا ، ولكن عملوا بعد قتل الحسين ، ولا عمل
بعد قتله إلا الحسرة والتلف ، قال شاعرهم عبد الله بن الحر :

فيا لك حسرة ما دمت حياً
ترددُ بين حلقي والتراقي
فلو فلق التلف قلب حيّ
لهمّ اليوم قلبي بانفلاق

فقد فاز الألى نصرُوا حسيناً

وخاب الآخرون الى النفاق

وهذا تفسير قول أبي الشهداء — لا أرى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين الا ندماً — لم يستفد من هذا الدرس الذي
هو أبلغ دروس الحياة ، سوى أبطال الطف الذين تسابقوا
الى الموت بين يدي الحق والفضيلة فرحين مستبشرين .

وبين هؤلاء الابطال شبه كبير من الوجهة النفسية ، فدرس
بعضهم يوقفنا على حقيقة الباقي لا نستثني منهم سوى رجل
واحد ، هو الضحاك بن عبد الله المشرقي ، فانه لازم الحسين من
أول يوم حتى اذا لم يبق مع الامام الا اثنان الضحاك ثالثهم ،
استأذن الحسين فأذن له فركب فرسه ونجا ، حاول الضحاك ان
يلائم بين ارادة الحياة واحترام العقيدة ، وأن تسالم كل واحدة
جارتها ، ولما وقع بينهما العدا والصراع قدّم مصالحه الشخصية
على عقيدته ، على عكس النتيجة التي انتهى اليها الحر الرياحي .

تطوع الحر بن يزيد الرياحي في جيش ابن زياد لحرب
الحسين ، ولما أيقن أن الحسين مقتول لا محالة انسحب من
جيش الكوفة وصحب معه ولده الشاب بكير وانضمّا الى الامام
وقتلا معاً بين يديه ، لقد كان في الحر حنكة ومرونة الى جانب

ايمانه القوي ، فحاول ان يؤلف بين ايمانه وتقلبات البيئة والظروف ، فقال في نفسه — أصانع القوم بما لا ينفعهم ولا يضر الحسين كي لا يظنوا أنني خرجت من طاعة — ولما امتنع عليه الوثام بين احياء العقيدة وارادة الحياة استجاب الى صوت ضميره الحي وقام بواجب الحق فضحى بحياته وحياة ولده في سبيل احياء ايمانه الصادق .

قدم الحر عقيدته على حياته ، وقدم الضحاك حياته على عقيدته ، ولم يكن هذا هو الفارق الوحيد بين الرجلين ، فقد بعث منظر القتل والقتلى في نفس الحر الشجاعة والاقدام على الموت بينما بعث في نفس الضحاك الجبن الذي أدى به الى الهزيمة والفرار . فرّ الضحاك رغبة في البقاء على نفسه وأهله ، وقدم الحر ولده الشاب الى المذبحة طيب النفس ، ولما رآه قتيلاً يتخبط بدمه قال: الحمد لله يا بني الذي نجاك من القوم الظالمين ومن عليك بالشهادة بين يدي امامك .

ان تطوع الحر في جيش ابن زياد وموقفه من الحسين باديء ذي بدء لا يدل على عقيدته ودخيلة نفسه السامية ، كما ان انضمام الضحاك الى الامام منذ اللحظة الاولى الى قرب الشوط الاخير لا ينبئ عن زهده في الشهادة لاجل الحق ، بل يشعر بالاقدام

والتضحية .

من هذه المقارنة يدرك البصيرُ أن ثوب الوطنية والوطننة
والتهويل ، لا يدل على الاخلاص والتضحية ، كما أن الهدوء
وعدم الثثرة والتشقق بالالفاظ الفارغة لا تكشف عن الخيانة
والجبن ولكن :

إذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى عن تباكى

ما أحب الباطل شاباً ولا كهلاً

•

في ليلة العاشر من المحرم ، ضرب للحسين (ع) فسطاط ،
ليطأ بالمسك والنوره ، ولما دخله وقف برير بن خضير الهمداني
وعبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري تختلف مناكبهما ، يتضايقان ،
ليسبق كل واحد صاحبه الى فاضل المسك ، فيفوز بما لمسته
أنامل الطهر والقداسة ، فيعقب نشره مع نشر الدم الزكي ، دم
الشهادة والتضحية ، قال : راوي الحديث : فاخذ برير يهازل عبد
الرحمن ويضاحكه فأجابه عبد الرحمن دعنا ، فوالله ما هذه
بساعة باطل . قال برير : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل
شاباً ولا كهلاً . ولكني لمستبشر بما نحن لاقون ، والله ما يتنا
وبين الحور العين إلا ان يميل علينا هؤلاء بأسياهم ، ووددت أنهم
مالوا علينا الساعة .

ان الباطل في عرف القديسين مثل عبد الرحمن وبرير ان

يختار الانسان الحسن مع القدرة على الاحسن ، فذكر الله في هذه الساعة التي هي اشبه ما تكون بساعة النزع وتسليم الروح خير من الدعابة ، والبكاء اولى من الابتسام ، وما كان عبد الرحمن يجهل بريراً . كيف وقد تخرجنا من مدرسة واحدة على معلم واحد ، على سيد الوصيين وامام المتقين الذي كان يلقيهم دروس الكمال بافعاله قبل اقواله ، ويعلمهم أن الاستخفاف بصغير الذنوب من اكبر الذنوب ، لأنه استخفاف بالله وشرائعه وقوانينه! لم تكن تلك الدروس التي تلقاها برير وعبد الرحمن عن المعلم الاعظم الفاظاً تذروها الرياح ، واصواتاً لا تتجاوز الآذان ، بل هي بنور تغرس في النفس فتحيا وتنمو الى أن تصبح غرائز وملكات تحرك أربابها ، وتقودهم الى مرضاة الله ورضوانه .

لقد عرف عبد الرحمن بريراً كهلاً وما عرفه شاباً ، والشباب مظنة الوقوع في الخطايا ، فنفى برير الطيب الذي لم يبلغ في حياته كلها بالفاظ اللهو والعبث ، نفى عن نفسه هذه المظنة بحجة لا تعادلها حجة في القوة والصدق — والله لقد علم قومي أنني ما احببت الباطل شاباً ولا كهلاً — واي حجة اقوى في الدلالة ، واصدق في الشهادة على سير الانسان وسلوكه من شهادة قومه وعشيرته الذين صاحبوه كبيراً وصغيراً ، وخالطوه غنياً وفقيراً ،

ورأوا أفعاله ، وسمعوا أقواله في جميع أطواره وأدواره في سره
وعلايته ، ورضاه وغضبه ، وحزنه وسروره ، ونعيمه وبؤسه ، لقد
تمكن برير من نفسه وتغلب على شهواته في دور شبابه ، دور طفولة
العقل ، والاستسلام الى الملذات والأهواء ، فهو كامل في شبابه ،
كامل في كهولته ، لم يرتكب منكراً ولم يقترب سيئة لا أولاً
ولا آخراً . وما أحب باطلاً ابداً ، وهؤلاء قومه وعارفوه
يشهد كبيرهم وصغيرهم . أنه منذ صغره اهتدى الى سبيل الرشده
والسداد ، يستبق الخيرات ، ويسارع الى المكرمات ، يناصر الحق
والعدالة ، ويحارب الظلم والعدوان .

ومن اقواله وهو في معركة الطف .

يعرف فينا الخير أهل الخير

اضربكم ولا أرى من ضير

كذلك فعل الخير من برير

وكل خير فله برير

لقد ارتكز حبه الخير ، وبغضه الشر على إيمانه القوي ،
وعقيدته الراسخة كما ارتكز لينه ولطفه ، ورحابة صدره على
عظمته في شخصيته ، وثباته في عزمه ، وثقته من مقدرته وشجاعته
كان برير يوم الطف كلما تكررت الفظائع من

العدو يقف منذراً ومحذراً عاقبة البغي مذكراً بالله تعالى وأهل
بيت الرسول ﷺ بقول ابن خفيف على النفوس والأسماع ، فما
فاه بكلمة في موقفٍ يشعر بهجر او فحش .

فكان في مواقفه كلها مترناً في اقواله كاظماً لغيظه معتصماً
بالصبر والالاة ، لذلك عندما اكثر عليهم القول لم يزيدوا في جوابه
حرفاً على قولهم : لقد اكثرت الكلام يا برير .

قال لهم في موقف : يا قوم اتقوا الله فان ثقل محمد ﷺ قد
أصبح بين أظهركم ، وقال في موقف ثان : أفجزاء محمد هذا ؟!
وفي ثالث لا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم أف لهم غداً .

ولما حمل جيش البغي على الحسين واصحابه (ع) انقض
عليهم برير كالصاعقة يفريهم بسيفه ويقول : أضربكم ولا أرى
من ضير .

هذه ألفاظه ، وهذا أسلوبه وخطابه مع قوم ما وضعت ألفاظ
السباب واللعن إلا للدلالة على خساستهم . إن تلك الفظائع لم
تخلق من برير رجلاً غير برير فهو هو ذاك الوادع المتواضع
والزاهد الخاشع الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ،
وإذا كان برير عظيماً فكيف يفوه بالحقير الذي يستطيع النطق
به الطفل الصغير ، والمرأة الضعيفة ، والسفيه الفاجر ، إذا كان

برير عظيماً فليدع الكلام للسيف وحده . برز برير لقتال جيش
الظلال وبين جنبيه قلب يستبشر بالموت استبشاره بعناق الحور
العين ، فلم يدن أحد منه لشجاعته وهيبته ، فكان يحمل على
الاعداء ويفرون من بين يديه خشية من لقائه ، فيناديهم اقتربوا مني يا
قتلة المؤمنين ، اقتربوا مني يا قتلة اولاد رسول رب العالمين ، ولما عجزوا
عن مقاومته وجهاً لوجه اغتاله كعب بن جابر بطعنة رمح في ظهره
بعد ان قتل منهم ثلاثين رجلاً فأودت الطعنة بحياته الطاهرة
الزكية التي شهد لصاحبها الرجال والنساء من قومه وعارفيه أنه
ما عرف الباطل شاباً ولا كهلاً ، قال بعض من أعان على
الحسين (ع) لكعب عندما رآه قاصداً اغتيال برير : ويلك هذا
الذي كان يعلمنا القرآن ، وأقسمت زوجته لدى رجوعه اليها
أن لا تكلمه ابداً ، لقد لبي برير دعوة ربه وقدم حياته قرباناً بين
يدي الله ورسوله . وفاز بكرامة الدنيا والآخرة .

وذلك هو الفوز العظيم .

درس من نواضع أهل البيت

من الصفات البارزة في العظماء أنهم يقومون بأجل الأعمال وأنفعها للناس ، ومع ذلك يهتمون أنفسهم بالتقصير ، ينسون عظمتهم ، ويرفضون أن يكونوا فوق أحد . كان النبي ﷺ يجلس مع القوم فيأتي الغريب ، فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، وجاء رجل يكلمه فأرعد . فقال له : هون عليك ، انا ابن امرأة كانت تأكل القد . ومن قول الامام علي (ع) في نهج البلاغة « من استثقل الحق ان يقال له ، او العدل يعرض عليه ، كان العمل بهما اثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، او مشورة بعدل ، فاني لست في نفسي بفوق ان اخطيء » ومن كلام الامام زين العابدين (ع) كما جاء في الصحيفة السجادية « انا يا إلهي اكثر ذنباً ، وأفبح آثاراً ، وأشنع أفعالاً ، وأشد في الباطل تهوراً ، وأضعف عند طاعتك تيقظاً ، وأقل لوعيدك انتباهاً وارتقاباً من

أن أحصي عليك عيوبي ، وأقدر على ذكر ذنوبي ، وإنما أوبخ
بهذا نفسي طمعاً في رأفتك التي بها صلاح امر المذنبين ، ورجاء
لرحمتك التي بها فكك رقبة الخاطئين .

أحقيقة ان هناك اخطاء او ذنوباً ، او هذا ان تواضع وتنزيه عن
الزهو والغرور ، او شكر لله على نعمة العظمة ، او هو تسبيح وعبادة ، او
درس للجهال والمغرورين الذين يركبون العجب والكبرياء ، او
يركبهم العجب والكبرياء !

لا ريب انه تواضع وشكر وعبادة ودرس ، وفوق ذلك هو
فهم للخير فهما كاملاً . إن عمل الخير لا ينشأ عن مجرد معرفة
حقيقة الخير ومكانه ، بل لا بد من الاخلاص ، والمخلص لا يرضى
بالقليل من نفسه ، ولا يستكثر شيئاً من جهوده وتضحياته ، وإن
كثرت ، وإنما يستكثر السير من سهوه وذهوله ، وإذا إخفق في
عمل من أعماله لا يسب الناجحين ويشتم اعراضهم ، وإنما
يستخرج دروساً نافعة مفيدة من هزيمته وإخفاقه ، وإذا حقق
للناس جهة من جهات النجاح والصلاح انصرف عنها وفكر في
السبيل إلى تحقيق الجهات الأخر ، ان العارف المخلص لا ينظر
إلى الوراء ، إلى ما مضى من عمل فيذكر الناس به مفتخراً أو ممتناً ،
بل يضاعف النشاط ، ويثب الى الامام ليكسب نصراً جديداً .

يعمل ولا يتكلم، وإذا تكلم تكلم عن تقصيره وإهماله خشية
التبجح والدعاوي الفارغة، وخشية التساهل فيما يجب اتكالاً
على ما كان يعمل، ويتوارى وراء عمله، ولا يقطع الطريق على
الناس بما يعلنه عن آثاره ويضيفه إلى نفسه من الفضائل
والكرامات، يتوارى حتى تحسبه كسائر الناس، فإذا جد الجد
وهرب من المعركة من هرب بقي وحده في الميدان يصول ويجول
يكتفم فضائله، ويذيع فضائل الناس، يعلن عيوبه ويستر عيوبهم،
لا يحقد ولا يحسد، لأنه طيب السريرة، يحب الخير للجميع.
ولا يسب ولا يشتم، لأنه كبير يأبى أن يفعل أو يقول ما تقدر
عليه الجاهل والأطفال، ولا يخادع ولا يراني، لأنه لا مأرب له
إلا الحق، ولا يستكثر نعمة دخلت على غيره مهما كان نوعها،
لأنه لا يشعر النقص من نفسه إذا رأى نعمة على سواه.

إن العظيم يخدعه الدعاة الماكرون، ولا يخدعه عن نفسه
شيء، إن الساذج الفطير يستعظم الحقير، ويستكثر القليل من
نفسه، وما زلت أذكر النشوة التي أصابني عندما نشرت أول مقال،
ورأيت اسمي مطبوعاً، ثم تبين لي، والله الحمد، أنني كنت فطيراً،
وما زلت أشعر هذا الشعور على الرغم من مرور خمس وعشرين
سنة. والله سبحانه أسأل أن يكون شعوري هذا خطوة للسير

الى الامام .

ان بغية العظيم ان لا يرى في الحياة مجالاً للخطأ والجريمة؛ ولا للمآسي والنكبات ، أن يحول الأوضاع من سيء الى حسن، ومن حسن الى الأحسن ، فاذا لم تتحقق هذه الامنية خاف ان يكون احد المسؤولين ، لأنه جزء من كل ، وفرد من جماعة ، فان لام لام نفسه قبل ان يتجه باللوم الى غيره .

ومن ذا الذي يدرك جميع غاياته ، ويعلم كل شيء ، ولا يخطيء في شيء ؛ لقد اخطأ سقراط وافلاطون وارسطو في الفلسفة ، وأخطأ سيبويه والخليل والكسائي في النحو ، وأخطأ علماء التاريخ في التاريخ ، وأخطأ الأطباء في الطب ، أما أخطاء الساسة فلا يحصيها العد . ان العظماء يدركون هذه الحقيقة ، بل يدركون أنهم لا يستطيعون أن يعلموا بعض الشيء الا بعد جهد جهيد .

قال نهر و العظيم لابنته: « لست أحب أن تأخذي ما حدثتك به هنا قضية مسلماً بها ، فقد يكون ثمة خطأ كبير في بعض حسابي » وبالتالي فان المعرفة والتواضع هما نعمة من أجل نعم الله سبحانه ، وأعظمها قدراً ، يخص بها الطيبين من عباده .

الوجود خير من العدم

•

قال استاذنا : من الحقائق الثابتة أن الوجود خير من العدم .
ثم قال : لعلكم تتساءلون : ما قولك بوجود البعوضة والحية والعقرب ، وما اليها من الحشرات السامة ، فإننا نبذل كل جهد للفتك بها ، وإزالتها من الوجود ! ؟

وأجاب الاستاذ بأن الوجود خير بذاته وطبيعته مهما كان نوعه ، والعدم شر او أن الوجود خير منه على الأقل ، ولا يكون الوجود شراً إلا اذا كان سبباً لزوال شيء موجود ، ولما كانت الحية والعقرب والبعوضة تستتبع زوال الصحة وجب إزالتها .

تذكرت هذا الدرس ، وعهدي به يقرب من ٢٥ سنة ، تذكرته ، وأنا أقرأ المقالات الطويلة العريضة في الصحف المصرية داعية الى تحديد النسل ، إن كتابها يرون العدم خيراً ، والوجود شراً ، إنهم لا يقتلون البعوضة حفظاً على الانسان ، بل يقتلون

الانسان فرار من أثراً البعوضة ، لقد جهلوا أو تجاهلوا فائدة العلم الذي جعل من الخشب لباساً . ومن الطحلب طعاماً ، ومن الدرهم قنطاراً ، تجاهلوا فائدة العلم ، ولم يروا إلا الانتحار بالجملة ، زعموا أن تحديد النسل يخفف من آلام البشرية ، وتجاهلوا أن الغاية من التحديد أن يعيش الذين يحاولون السيطرة على الاقتصاد العالمي دون غيرهم ، لأن السكان اذا ازدحموا في أرض قوي شعورهم بالحاجة الى موادها وخيراتها ، وضاعفوا النضال والكفاح ضد الاحتكار والاستغلال .

قال الامام الصادق (ع) : ان النبي ﷺ قال من أحب أن يتبع سنتي فان سنتي التزويج . وفي حديث آخر ما بني بناء أحب الى الله من التزويج . ومن جملة الدوافع للحث على الزواج الاستيلاد ، كما يدل عليه قول الرسول ﷺ « العزل هو الواد الحفي » ومعنى العزل انزال الماء في الخارج .

فهرس الكتاب

٨٨	الطابع الخاص لمدرسة الامام	٣	المقدمة
	الصادق	٦	مى م أهل البيت (ع)
٩٨	فرق الشبهة	١٤	سيرة النبي مع أهل بيته
١٠٦	عقيدة الامامية	١٨	منزلة أهل البيت عند المسلمين
١١٣	من تسيحات الامام زين	٣٣	من خصائص أهل البيت
	العابدين (ع)	٤٠	اخلاق أهل البيت
١٢٢	الزكاة	٤٦	عن أهل البيت
١٣٠	من احتجاجات أهل البيت	٥٧	كارثة كربلاء
١٣٨	حب المال	٦٥	التقية
١٤٧	الاسلام والاقتصاد	٦٨	علم الامام علي بن أبي طالب (ع)
١٥٤	لا عمل بعد اليوم	٧٦	قضاء الامام
١٦١	ما أحب الباطل شاباً ولا كهلاً	٨٠	الامام جعفر الصادق (ع)
١٦٦	درس من تواضع أهل البيت		
١٧٠	الوجود خير من العدم		

المصادر

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني	رح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
تذكرة العلامة الحلي	تاريخ الطبري
تفسير الرازي	البحار المحلى
مستمسك العروة	كشف الغمة للاربلي
المرجع السيد محسن الحكيم	اوائل المقالات المفيد
احتجاج الطبرسي	الحقائق في الجوامع والفوارق
اعيان الشيعة للسيد محسن الامين	لشيخ حبيب آل ابراهيم
الجواهر للشيخ محمد حسن	الناسي للشيخ المرتضى
تفسير الزمخشري	فجر الاسلام وضحاها لاجد امين
جعفر الصادق ملهم الكيمياء	عصر المأمون لاجد فريد الرفاعي
محمد يحيى الهاشمي	دائرة المعارف لفريد وجدي
الفاروق محمد حسين هيكمل	الملل والنحل للشهرستاني
المقيدة والشرعة في الاسلام	علي وبنوه للذكر كنور طه حسين
لاجناس جولد	عقريه الامام للمقاد
جعفر الصادق	جعفر بن محمد
لاجند مغنية	للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٥	٣	بل	و
١٠	٤	بنوه	بنيه
١٥	١١	وكيف	كيف
٢٢	٨	الحسين	الحسني
٤٧	٣	الباحث	الباعث
٤٨	٤	ابي	ابى
٨٤	٦	بوجوده	بوجوه
٩٢	٥	العصور	الاصول
٩٨	٢	بينه	بنيه
١٠٩	٤	صورة	سورة
١١٠	١٣	الماركين	المارقين
١٢٨	٦	الفلات	الفلاة

obeykandi.com